تأملات
في سورة الرعد

برنامج التدبر - الملزمة الخامسة عشر

جمع و إعداد :
نـجلاء السبيِّل

للإستفسار : ٠١٢٢٦١٩٥٦٤/ ٠٥٤٠٧٠٢٠٠١

تأملات
في سورة الرعد

برنامج التدبر - الملزمة الخامسة عشر

جمع وإعداد:
نجلاء السبيّل

بين يدي السورة...

هذه السورة كما يقول أهل التدبر؛ سورة تعلمنا اليقين، **فما هو اليقين؟**

- اليقين عبادة قلبية عظيمة يحبها الله ﷻ، وقد قال الله تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ ﴾[1].

- اليقين بابٌ يفتحه الله على قلب من يشاء من عباده، و كرامة يكرم بها من يشاء من عباده فيذوق به حلاوة الإيمان.

- هو أعلى درجات الإيمان؛ بل هو الإيمان كله عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "**الصبر شطر الإيمان واليقين الإيمان كله**"[2].

- ولا يتم كمال التوحيد وتحقيقه إلا باليقين: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ ﴾[3]، صاحبُ اليقين قد تُطبق عليه الدنيا كلها.. قد يحاصره المرض في كل ذرّة من ذرّات جسده.. قد تحاصره الديون وتخنقه.. قد تحاصره الأمراض والأسحار والمس والعين وتُغلق الأبواب في وجهه.. وقد يتكالب عليه الأذى والتسلط ومع ذلك...
يقينه بالله ﷻ ثابتٌ لا يتزعزع ولا بمقدار ذرّة..
راسخٌ في يقينه بالله.. لن أخيب.. لن أُخذل.. ولن أُهزم.. ما دام أن الله معي..
صاحب اليقين قلبُه في السماء؛ لذلك يقولون: ما سكن اليقين في قلب عبدٍ إلا فتح الله له أبواب السعادة وصُبّت السعادة في قلبه صبًّا..

وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: "من قال أشهد أن لا إله إلا الله موقنا بها قلبه دخل الجنة"[4]، وفي رواية "حرم على النار من شهد أن لا إله إلا الله موقنا بها قلبه".

[1] - سورة الانعام الآية ٧٥
[2] - رواه البخاري معلقًا.
[3] - سورة الحجرات الآية ١٥.
[4] - رواه الإمام أحمد في مسنده بسند ثلاثي صحيح.

وقال عليه الصلاة والسلام: "أحب الأعمال إلى الله ﷻ إيمان لا ريب فيه أو لا شك فيه"[١]؛ بل ثبت عنه ﷺأنه ما كان يختم مجلسه إلا ويدعو بهذه الدعوات يسأل ربه اليقين "اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا"[٢].

إذن: نحن أمام عمل قلبيّ عظيم جدًا، لابد أن نلتفت له ونتفقده في قلوبنا لنرى: **يا ترى كم بلغ اليقين في قلوبنا..!**

❀ هناك ثلاث صور لليقين:

الصورة الأولى:

الثقة التامة المطلقة بالله، الطمأنينة بالله التي لا تتقلب ولا تتحول ولا تتغير في القلب:

- في حادثة الإسراء والمعراج، أخبر النبي ﷺ قريشًا في الصباح أنه قد أُسري به ليلًا إلى بيت المقدس، وعُرج به الى السماء حتى وصل إلى سدرة المنتهى ورجع في نفس الليلة وفراشه ما زال دافئًا..!!
قريش جُنّ جنونها وذهبوا يبحثون عن أبي بكر ﷺ ليقولوا له: انظر ماذا يزعم صاحبك..!
فكان رده عليهم: "إن كان قاله فقد صدق"[٣]..
يقينٌ تام مُطلق بكلام رسول الله ﷺ المُرسل من ربه ﷻ.

- أنس بن النضر لما أراد الخروج في معركة أحد للغزو، جعل الناس يقولون له: يا أنس إن الله قد عذرك الله - فقد كان أعرجًا - فكان يردّ عليهم: "والله لأطأنَّ بعرجتي هذه الجنة"؛ وبالفعل استُشهد أنس والنبي ﷺ قال: "رأيته في الجنة وما به من عرج"[٤].

- خالد بن الوليد ﷺ بعدما أسلم استمرت معه محاولات المشركين: إن كنت على حق، ونبيك على حق، ودينك على حق فعرضوا عليه أن يشرب السم..! فشربه يقينًا بالله فحفظه الله ولم يحصل له شيء[١].

---

[١]- رواه الإمام أحمد في مسنده.
[٢]- رواه الترمذي، وقال حديث حسن.
[٣]- أعمال القلوب للدكتور سفر الحوالي بتصرف.
[٤]- أعمال القلوب للدكتور سفر الحوالي بتصرف.

الصورة الثانية:

اليقين بالنصوص في كل ما أخبرت به الشريعة: أنه حق وصدق، وأنه الخير والصواب الذي لا يقبل التغيير ولا التكذيب ولا الشكّ ولا التردد؛ أي: نرضى بالشريعة كما نزلت.

وكما قال أهل العلم: **"لا تثبت قدم إسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام".**

وهذا يعني أنه لن نكون مؤمنين إيمانًا حقيقيًّا كاملًا إلا إذا رضينا بالشريعة كما نزلت؛ لأننا على يقين بكمال وصدق وتمام هذا الدين وأنه نزل من عند رب العالمين الذي خلق الخلق وهو أعلم بما ينفعهم ويناسبهم فشرعه لهم، فحينما يرِد نصٌّ في كتاب الله أو في سنة رسول الله ﷺ كقوله تعالى:

* ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡ﴾[2]

* ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾[3]

* ﴿لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾[4]

* ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾[5]

فالقضية محسومةٌ مفروغٌ منها، لا تقبلُ النقاش؛ بل نقبلها بدون أي حرج ولا اعتراض ولا منازعة ولامجادلة: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا﴾، رفضنا لأي حكم من أحكام الشريعة قد يوصل الإنسان إلى ناقض من نواقض الإيمان، ومن أراد أن يُختم له بالتوحيد، ويُختم له بـ: "لا إله إلا الله" لابد أن يعيش على هذه الكلمة راضيًا بها، مُحبًا لها ولأحكامها، موقنًا بها، قابلًا لكل ماجاءت به مسلّمًا مُنقادًا دون أي حرج.

---

[1]- أعمال القلوب بتصرف.
[2]- سورة البقرة الآية ١٢٠.
[3]- سورة النساء الآية ٣٤.
[4]- سورة النساء الآية ١١.
[5]- سورة النساء الآية ٣.

الصورة الثالثة:

الإيمان بالغيبيات في كل ما أخبر الله تعالى عنه من أمور الغيب كالجنة، والنار، والموت، والبعث، والجزاء، والصراط، والميزان، رؤية وجه الله ﷻ، أشراط الساعة، يأجوج ومأجوج، خروج الدجال، خروج الشمس من مغربها.... كل هذه الغيبيات التي يجب أن نتيقن بها يقينًا تامًّا لا يقبل الشك.

۞ لماذا سميت سورة الرعد بهذا الاسم؟

سميت بسورة الرعد لورود ذكر الرعد فيها، ولم يُذكر الرعد إلا فيها وفي سورة البقرة.

- والرّعد صوتٌ معروف مخيف مفزع، يأخذ القلوب برعدة شديدة؛ لذلك كان من هديه ﷺ إذا سمع صوت الرعد يقول: "سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته" ثم يقول: " هذا الوعيد لأهل الأرض شديد"[1].

وأغلب المفسرين على أن الرعد هو ملك من الملائكة يسوق السحاب فيحدث هذا الصوت؛ واستندوا لحديث ورد في سنن الترمذي: أن اليهود أقبلت على إلى النبي ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم أخبرنا عن الرعد؟ فقال: "ملك من الملائكة موكل بالسحاب، معه مخاريق من نار، يسوق بها السحاب حيث يشاء الله"، قالوا: وما هذا الصوت الذي نسمعه؟ قال "زجره بالسحاب إذا زجره حتى ينتهي حيث ما أمر"[2].

إذن: من اسم السورة؛ نحن أمام سورة قوية لها علاقة بالتخويف والتعظيم والجبروت والقدرة، ، ولا يظهر هذا من اسمها فقط؛ بل لو تأملنا آيات هذه السورة لوجدناها تعرض حقائق وشواهد وحجج وبراهين كونية كثيرة جدًا، كلها تدل على قوة الله وقدرته، تدل على علم الله وعظمته:

- آياتٌ في السماء: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَا﴾:

  شاهدوا... انظروا... تفكروا... اعقلوا... أما ترون أمامكم:

  سموات مرفوعة.. السماء الأولى محيطة بجميع مجراتها..

---

[1]- جاء في موطأ الإمام مالك باب القول إذا سمعت الرعد.

[2]- صححه الألباني من جامع الترمذي.

ثم السماء الثانية محيطة بالأولى..

ثم الثالثة بالثانية وهكذا حتى السماء السابعة بعضها فوق بعض كقطعة واحدة..!

وكل هذه السموات رُفعت بغير عمد تحملها..!!

المسافة بين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة عام.. وكُثف كل سماء مسيرة خمسمائة عام.. وفوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه مسيرة خمسمائة عام..

وفوقه العرش... والله فوق ذلك ﷻ لا يخفى عليه من أعمال بني آدم شيء..! هذا كله من ملكوت الله ﷿.

- آياتٌ في الأرض، آياتٌ في الشجر، آياتٌ في النبات: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾

الأراضي متجاورة.. التربة واحدة.. الطين واحد.. والماء واحد، ولكنه يخرج من هذه الأرض زرعٌ مختلفٌ ألوانه: بساتين موز.. بساتين تفاح.. بساتين مشمش.. بساتين برتقال.. بساتين منجا.. هذا حامض.. هذا حلو.. هذا له بذرة واحدة.. وهذا له بذور كثيرة.. من أرض واحدة .. وتربة واحدة.. وماء واحد...!!

أفلا تعقلون..!

- آياتٌ في الأنفس وآياتٌ في الخلق: ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۚ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ﴾

يعلم الله ﷻ ما تحمله كل أنثى: أنثى الطيور، أنثى الزواحف، أنثى الحشرات، أنثى الآدمية...

ويعلم ماذا يحصل في الأرحام لكل الإناث..!

يعلم مَن الجنين الذي سيُكمل مدة الحمل ويُولد، ومن الجنين الذي لن يُكمل وسيسقط..!

يعلم مدة حياة كل مخلوق.. كم سيبقى.. ومتى سيموت..

يعلم كل شيء سبحانه وتعالى وكل شيء عنده بمقدار لا يزيد ولا ينقص...!

- آياتٌ في خفايا النفس ومايدور فيها: ﴿سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ﴾

يعلم ما تُخفونه وما تُعلنون..

كل ما يدور في بواطنكم ودواخلكم يستوي في علمه..

من يستتر بظلمة الليل عن أعين الناس ومن هو ظاهر في وضح النهار..

كل ذلك يعلمه ولا يخفى عليه شيء من أمركم سبحانه ﷻ.

منظرٌ بديعٌ تصفه لنا آياتُ سورة الرعد:

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ١٢ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ﴾..

تأمَّل كيف تداخلت مناظر الطبيعة مع مشاعر الإنسان..!!

يريكم الله البرق.. ويسمعكم الرعد.. ويجمع في نفوسكم بين الخوف والطمع في نفس اللحظة..!

الخوف من هذه الصواعق والبرق والرعد، والطمع في المطر..! الجمعُ بين متناقضين..!!

الماء جعله الله سببًا للحياة وأنزله بقدرته من السحاب..

والسحاب جمع الله فيه بين (الرحمة) و (العذاب) فهو يحمل المطر ويحمل الصواعق؛ والصواعق فيها إماتة وإهلاك..!

وكم من أقوام عُذبوا وأُهلكوا بالصواعق والأعاصير والرياح والأمطار المدمرة..!

نقيضين في نفس المخلوق... وهذا من عجيب عظمة قدرة الله ﷻ..!

يا تُرى كل هذا الكم الهائل.. والشواهد الكونية التي وردت في سورة الرعد..!

وهذه العجائب.. وهذه الهيمنة المحكمة على هذا الكون والخلق.. والتفاصيل الدقيقة فيه..!

وهذا التخويف بالصواعق والرياح والبرق والرعد..! **لماذا..؟**

يأتي الجوابُ في قوله تعالى:﴿ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ﴾..

حتى تمتلئ قلوبكم باليقين ويستقر هذا اليقين ويرسخ فيها...

اليقين بماذا..؟؟

١- اليقين بأن هذا الكون كله مدبَّرٌ مسيَّرٌ محكومٌ بنظام فلا يمكن أن يحصل فيه شيءٌ إلا بإرادة الله تعالى وعلمه وإذنه ومشيئته.

٢- الليقين بأنك أيها الإنسان... ما أنت إلا نقطة في هذا الكون الفسيح، والدنيا سائرةٌ بك وبغيرك؛ فلا يدخل في قلبك شك ولو بمقدار ذرة بأن الله الذي خلق ودبر هذا الكون بهذه القدرة، وهذا التفصيل، وهذه الدقة، وهذا التقدير والإحكام؛ سيعجز عن تدبير أمرك وأمرُك أهون عليه من أمر الكون كلّه.

٣- التسليم المطلق بالقضاء القدر:

أ/ اليقينُ بأن كل ما أجراه الله عليك مكتوبٌ سلفًا، وأمرٌ قد فُرغ منه؛ لذلك: قَلقك، حزنك، اعتراضك، اكتئابك، بكاؤك، عزلتك وتحسرك لن يُغيّر شيئًا مما كُتب.
ب/ اليقين بالملِك: تتيقن بأن ربك الذي خلقك هو الذي يملكك، ومُلْك الله مُطلق له حق التصرف فينا كيفما شاء فليس لك أن تستدرك على ربك شيئًا أو تعترض.

٤- اليقين بالحِكمة: مع ملكه لك سبحانه وبحمده فهو حكيم، لا يجري علينا الأقدار عبثًا دون تقدير أو حكمة؛ فما من حركة أو سكون إلا وله فيه حكمة فهو الحكيم الخبير، وانظر كيف أنَّ اسم الله " الحكيم " تكرر في القران أكثر من تسعين مرة ، واسم الله " الخبير " تكرر في القرآن أكثر من أربعين مرة..!

كل هذا حتى نتيقن ونسلّم بأن الله تعالى له الحكمة البالغة فيما قدَّر وقضى:

إذا أمرض؛ أمرض لحكمة..

إذا أفقر؛ أفقر لحكمة..

إذا أضلّ؛ أضلّ لحكمة..

إذا أعطى.. أو منع.. أو قدّم.. أو أخّر.. كل شيء له حكمة.. وهذا أمر يحتاج إلى التسليم بأن الله كامل الصفات وإن كان هذا القدر اختياره فأحبّ ما يحبُّه الله لنا وليس أمامنا إلا الرضا، لأنَّ الله لا يقدّر على العباد أمرًا إلا وفيه مصلحتهم، ولا يقدِّر على العباد إلا ما فيه رحمة بهم، ولا يقدِّر على العباد إلا ما فيه لطفٌ بهم حتى لو لم يشعروا بهذا اللطف منه تبارك وتعالى يبقى هناك لطفٌ خفيٌّ لذلك قيل:

كن صاحبَ يقين يقوِّيك الله.. ويثبتك..

كن صاحب رضًا مع الأقدار يرضِّيك الله.. وكلما رضيت قلّب الله لك الأحوال..

كم سيرتفع توحيدك بهذا التسليم...!!

سيجعلك هذا تعيش التوحيد في كل تفاصيل حياتك: في مرضك.. في صحتك.. في عافيتك.. في دموعك.. في حزنك.. في كل شيء.. ونحن على ثقة تامة أنه من كانت صفقتك مع الله فلن يخسر أبدًا، ولو فهمنا معنى التسليم لعرفنا وتيقنا أنه:

من سلَّمَ رقبته إلى الله تكفل الله به...

٥- اليقين بأنه ما فاتك شيء من أمور الدنيا أو فقدته أو خسرته إلا سيعوضك الله خيرًا منه في الدنيا و الآخرة..

يقول أهل العلم: **"المعاملة تدور مع الظنّ"**

عامل الله بهذا اليقين.. بهذا الظن الحسن.. وسيعاملك بما ظننته فيه، كان ابن مسعود ﷺ يُقسم : (**والله ما ظن عبد بالله ظنًّا إلا وأعطاه الله بما ظن فيه**).

أيضًا: كن على يقين أن الله إذا ابتلاك وألهمك الصبر فإنه أراد بك الخير..

كل هذا يبثُّ الطمأنينة.. ويبثُّ السكينة.. ويبثُّ الثبات في قلوبك وروحك فتستقرّ وتهدأ وتسكُن؛ لذلك قلنا:

صاحب اليقين قلبه في السماء..

وما فتح الله على عبدٍ باب اليقين إلا كان أسعد الناس

فتيقنوا بربكم يا أهل اليقين.. تيقنوا بربكم يا أهل التوحيد..

واحذروا التخذيل والإحباط واليأس وسوء الظن والقنوط، فهذا كله من كيد الشيطان..

ضعوا أمام أعينكم ثلاث نصوص حتى يزيد اليقين في قلوبكم:

١- ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾[١].

٢- ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[٢].

٣- **قوله ﷺ: "عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير"**[٣]

أسال الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يزيدنا يقينًا وإيمانًا وثقة به..

اللهم زدنا صدقًا معك وإقبالًا عليك، واملأ قلوبنا باليقين، واجعلنا ممن يحقق التوحيد ويلقاك بكمال التوحيد..

---

[١]- سورة الشورى الآية ١٩.

[٢]- سورة البقرة الآية ٢١٦

[٣]- رواه مسلم.

اللقاء الثاني

اللقاء الثاني

- ذكرنا في الآيات السابقة أن السورة عرضت كثيرًا من الشواهد الكونية والآيات والعجائب في هذا الكون الفسيح، وعرضت أيضًا الكثير من المتناقضات: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾، ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾، ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾، ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾، ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾، ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾، ﴿نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾، ﴿ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾، ﴿ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ﴾، ﴿ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾، ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾...

والعجب أنه بعد هذا العرض كله.. والخلق كله.. وهذا المُلك.. وهذه القدرة والقوة: لم يصلوا إلى اليقين...!!!

﴿۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ما زالوا ينكرون قدرة الله على البعث؛ بل وما زالوا يستعجلون بالعذاب كأنهم غير مصدقين بالرغم من أنهم سمعوا عن مصارع الأقوام السابقة، لكنهم ما زالوا في دائرة التكذيب: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ﴾..

- تعرض لنا هذه السورة أيضًا سنة من أهم السنن الربانية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾..

إنها سنة التغيير، وتبدّل الأحوال.. وكأن هذه السنة تقول لك بمنتهى الوُضوح:

(لن يتغيّر حالك إلا إذا غيرت من نفسك)...

<u>سنعرضُ هذه السنة الربانية من ناحيتين:</u>

* من الناحية التفسيرية.

* من ناحية تدبرية نخرج منها بفوائد في تغيير ذواتنا.

أولا: الناحية التفسيرية:

من تمام عدل الله تعالى وكمال قسطه أنه لا يغير ولا يزيل النعم ولا يسلبها ولا يبدل الأحوال إلا بسبب من العباد أنفسهم.. بسبب ما ارتكبوه من ذنوب ومعاصي.. بسبب ما وقع في قلوبهم من مخالفات وآفات وعلل..

فالله ﷻ لا يبتدئ عباده بالعذاب والضر والسلْب والنقمة، وقد أخبر رسول الله ﷺ: " أن الله أوحى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل أن قل لقومك أنه ليس من أهل بيتٍ أو أهل قرية يكونون على طاعة فيتحولون إلى معصية الله إلا حوّل الله عنهم ما يحبون إلى ما يكرهون"[1]:

- قوم سبأ كانوا يعيشون في رغد وخصب وأمطار وأرزاق ووفرة الجنات، والبساتين عن أيمانهم وعن شمائلهم..

بل من كثرة ثمارهم ومحاصيلهم كانت الثمار تتساقط عليهم من الأشجار دون كلفة وتعب وعناء..

كانوا في نعمة كبيرة لكنهم: أعرضوا عن الله.. أعرضوا عن عبادته.. تبطروا.. جحدوا.. ..ملّوا النعمة وسئموا منها..!

فسلبها الله منهم.. وأرسل على جناتهم وبساتينهم سيلًا جارفًا أنهى كل شيء.. جرفه.. ودمّره.. وأبدلهم بأشجار ثمارها قليلة.. مُرّة.. كلها أشواك.. لا أوراق فيها ولا أزهار: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا ۖ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ ...

ما كان الله ليُكرمك بنعمة ثم يسلبك إياها إلا بسبب منك أنت.. كما قال أهل العلم: **"داؤك منك وعلتك منك"..**

بدّلت فبدّل الله لك.. وغيّرت فغيّر الله عليك.، وقد قال ابن القيم رحمه الله: **"وليس على العبد أضرُّ من مَلَـلِه من نعم الله عليه"**، والملل من نعم الله مرض من أمراض القلوب..

حتى النعم الدينية تزول وتتبدل بالمعاصي... فمن كان له مع الله حال من: قيام ليل.. أو خشوع.. أو بكاء.. أو كثرة قراءة للقرآن.. أو حب العلم ومجالس العلم.. كلُّ هذه هبات ومنح وأرزاق شريفة.. ما كان الله ليعطيك إياها وتذوق طعمها وأنسها وقربها ثم يسلبها وينزعها منك إلا بسبب منك أنت...!!

لذلك المؤمن يظلّ خائفًا على ما آتاه الله من العلم والفهم والبصيرة..

يظل خائفًا أن ينسلخ من هذا الخير الذي أعطاه الله له..

---

[1] - رواه ابن أبي شيبة في مصنفه.

يظل خائفًا أن يكون كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثًا؛ لذلك الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتواصون فيما بينهم:

- دخل أبو مسعود على حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما جميعًا في ساعة الاحتضار فقال: يا حذيفة أوصني، فقال حذيفة: إياك والتلون فإن دين الله واحد..!

ومعنى هذا: اثبت ولا تغير وجهك مع الله، لا تتلون ولا تتقلب، قال تعالى: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾[1]..

وقد جاء رجل إلى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا غيرك؟ فقال عليه الصلاة والسلام: "قل آمنت بالله ثم استقم"[2]، وهذه الاستقامة فسَّرها عمر رضي الله عنه فقال: **(استقم على الأمر ولا ترُغْ روغان الثعالب)** أي: لا تكن مراوغًا ولا مُبدلًا ولا مُغيرًا، بل استقم على أمر الله، استقم على الأوامر والنواهي، استقم على هذه الشريعة وهذا الدين..

- أحد التابعين عُوتب على كثرة إنفاقه فقد كان لا يُبقي مالًا يأتيه، فلما أكثروا عليه قال لهم: إن الله عودني أن يفضُلَ عليّ وعودته أن أفضل على عباده فأخاف أن أقطع عادتي عن عباده فيقطع الله عادته عني..!

كانوا يخافون إذا فتح الله لهم بابًا من الخير أن يُغلقوه على أنفسهم فيُغيّر الله عليهم.. وهذا يدل على حسّ إيماني مرتفع وأرواح عامرة بالإيمان، وأرواح صادقة في تعاملها مع الله..

ثانيًا: الوقفة التدبرية:

وقفةٌ نتربّى فيها بتربية القرآن.. ننهض بأنفسنا.. نُزيل العيوب ونستدرك التقصير..

وهذا أمرٌ يحبه الله فقد أخبر الرسول ﷺ: " إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفسافها"[3]

والله ﷻ أقسم في سورة الشمس أحدَ عشر قسمًا متتالية على: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ فالفلاح كل الفلاح لمن زكى نفسه وهذبها واستصلحها ونهض بها..

---

[1]- سورة هود الآية ١١٢.
[2]- رواه مسلم.
[3]- صححه الألباني.

وحتى نُغيِّر من حالنا.. وننهض بأنفسنا سنضعُ بين يديك محطاتٌ تعينك على التغيير:

١- عليك البداية وعليه التمام:

جلس رسول الله ﷺ في حلقة مع أصحابه فدخل عليه ثلاثة من النفر: فأما الأول وجد فُرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الثاني فاستحيا فجلس خلف الحلقة، وأما الثالث أعرض ومشى، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: "أوَ أخبركم بخبر الثلاثة نفر..؟ أما الأول: فآوى إلى الله فآواه الله، وأما الثاني فاستحيا من الله فاستحيا الله منه، وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه"[١]..

هذا الحديث يعطي تصورًا واضحًا أنّ: **البداية تكون منك أنت..**

ابدأ هذه الخطوة إلى الله، والله يبارك ويتمم لك..

لا تُعرض فإن أعرضت سيعرض الله عنك؛ يقول ابن القيم رحمه الله: **"وأيّما جهة أعرض الله عنها أظلمت أرجاؤها ودارت بها النحوس"**.

يقول أهل العلم: (**أنت مُبتلى بأن تبدأ ومُمتحنٌ بأن تصْدُقْ؛ فإذا بدأت كما يُحبّ أتمّ لك ما تُحبّ**)[٢]

ابدأ وتحرك.. فمن يتحرّ الخير يُعطه..

ومن سعى للخير وُفق له.. من سعى إلى الهداية وُفق لها.. من سعى إلى التوبة وُفق لها.. من سعى إلى التغيير وُفق له..

لا تكن كسولًا ولا عاجزًا ولا باردًا ولا فاترًا ولا تعِشْ في دائرة الفراغ؛ فالفراغُ يدمّرك.. ويدمّر إيمانك..

كن صادق العزيمة.. صادق الرغبة.. اصدق مع الله يصدقك: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾[٣]

وقد قال أهل العلم: **إذا تحركت الهمم جاء الله بالفتح..**

١- متفق عليه.

٢- أصول الوصول ص٧٥.

٣- سورة محمد ٢١.

٢- القرآن يصنعُك:

يقول الله تعالى في سورة الرعد: ﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾

والمعنى: لو أنّ هناك كلام يتلى ويؤثّر على الجبال فتتحرك من أماكنها أو تتصدع وتتشقق الأرض أو يسمعه الموتى فيَحْيَون؛ لكان هذا القرآن من قوة تأثيره..!!

فإذا كان هذا القرآن يؤثر على الجبال فيتغير حالها؛ فنحن أضعف من الجبال والصخور.. فلماذا لا يؤثّر فينا..؟ ولماذا لا تنغيّر..؟؟

تأمل حياة الصحابة رضوان الله عليهم: ما الذي نقل حياتهم من أناس عاديين إلى جيل فريد متميز لا يمكن أن يأتي مثله..؟ ما الذي غيّرهم..؟ ما الذي بدّلهم..؟

إنه القرآن.. والقرآن فقط..!!

تتنزل آياته على قلوبهم.. تُهذبهم.. تُطهرهم.. تُنقيهم.. تصقلهم وتصنعهم فيرجعون بقلوب غير التي جاؤوا بها!

إذن... القرآن طريقك إلى التغيير..

القرآن يربيك.. القرآن ينفعك.. القرآن يصنعك..

اجعل القرآن معك وكن أنت مع القرآن.. لترى أثره وبركته عليك واعلم أن أي شيءٍ يقطعك عن القرآن فهو شؤمٌ عليك فاتركه وعدْ إلى القرآن....

٣- فرِّغْ قلبَك :

وهذا من أهم محاور التغيير..

يقول ابن القيم رحمه الله: **"الوصول إلى المطلوب مَوْقُوف على هجر العوائد وقطْع العلائق" ومعنى هذا:** أنّ الواقف مع العادات والتعلقات والشهوات إنما هو في الحقيقة شخص محبوسٌ محجوبٌ عن الله بقدر تعلقه ووقوفه مع هذه العوائد والعلائق، ولن يستطيع التغيّر إلا إذا حرّر نفسه منها ومن أسْرِها:

* من اعتاد أن لا يصلي الفجر إلا بعد خروج وقتها..

* من اعتاد أن يمُرّ يومه وأسبوعه وشهره دون أن يقرأ آية من القرآن..

* من اعتاد أن يُصبح ويُمسي وهو مشغول بمتابعة التلفاز والتنقل بين القنوات الفضائية والأخبار الرياضية..

* من شغلَ قلبه بكثرة التعلقات حتى أصبح مُشتتًا مُفرقًا بين الناس والدنيا والأموال والأسواق..

كل هؤلاء وغيرهم ممن وقعوا في أسر العادات والتعلقات إذا أرادوا التغيير.. وأرادوا العبودية.. وأرادوا الصفاء والنقاء والسكينة.. فليس لهم إلا طريقًا واحدًا...

أن يُفرّغوا قلوبهم...!

فمن صفّى صُفّيَ له، ومن كَدّر كُدِّر عليه..

ومن تجاوز الحد في التعلق بالمحبوب سلطهُ الله عليه وأصابه ما أصابه من الهم والغم والشقاء والتعاسة والنكد.. ومن المعلوم أن القلوب تصِحُّ وتمرض بأعمال أصحابها.. أنت المسؤول عن قلبك، وكما قيل: **من رأس العين يأتي الكدر...!**

أي: أن الكدر خارجٌ منك.. من داخلك.. من أعماقك بكثرة هذه المُزاحمات والتعلقات والعادات التي عكرتَ بها ماء قلبك.. إذا عرفتَ كيف تُصفّي قلبك، وتُحدِثُ مُوازنة في حياتك بأن تُعطي كل ذي حقٍّ حقّه بدون مبالغة ولا تفريط، عندها ستنجح في تغيير نفسك.. بل سيحصل تغيير كبير في حياتك..

٤- كن حاديًا:

قال ابن رجب رحمه الله: "النفس كالدابة فمتى فتُرَ قائدها وقصّر سائقها وقفت فتحتاج إلى الرفق بها والحدو لها حتى يطيب لها السير"[1].

الحِداء صوتٌ حنون تفهمه الإبل فإذا سمعته بعد توقفها وتعبها من السير، حركها ونشّطها لتواصل سيرها مرة أخرى..

والمعنى: أننا نحن أيضًا في طريق سفر.. كلنا مسافرون إلى الله..

في هذا الطريق نُصاب بالفتور والضعف والتراخي والكسل.. النجد نشاطًا لعبادة ولا طاعة ولا علم.. عندها تحتاج أنفسنا أن نكون لها كالحادي مع دابته.. تحتاج أنفسنا أن نُسايسها برفق.. أن نحنو عليها.. نترفق بها قليلًا قليلًا حتى تعود.. فلْنحذر أن نُدخل أنفسنا في حرب نفسية مع الشيطان ومن ثّمَّ يستولي عليها بتخذيله وتحبيطه وتحزينه..

ومن أهمّ ما نُعالج به هذا الفتور:

١/ أن لا نحصر أنفسنا في عملٍ واحد وعبادة واحدة؛ فمن رحمة الله بنا أن فتح لعباده أنواع العبادة حتى يأخذوا بما يستطيعون.

[1] - كتاب المحجة في سير الدُلجة.

٢/ أن نُعلّي ونُظّمونرفع الرجاء في قلوبنا بأن الله رحيم بعباده.. ورحمته تسعُ العباد.. وأنه يقبل منهم القليل ويعطيهم عليه الكثير... وأن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ، وأنه كما قال رسول الله ﷺ: "ما فتح الرجل باب عطية بصدقة أو صلة إلا زاده الله تعالى بها كثرة"[١]، هذا العمل القليل يفتح لنا أبواب الخير الكثير بإذن الله.

"ما فتح الرجل باب عطية بصدقة أو صلة إلا زاده الله تعالى بها كثرة"[٢]، هذا الحديث يفتح أبواب الأمل، ويفتح أبواب الخير كلها والحسنة تنادي أختها؛ والنفس من طبعها الشرود فتستعصي على صاحبها؛ ولأجل ألا تستعصي يجب أن يقودها صاحبها برفق حتى تُواصل سيرها.

٥- إياك والحزن:

لن ينجح في التغيير شخصٌ استولى عليه الحزن، ومن وظائف الشيطان أن يُحزِن المؤمن ويجعله مهمومًا ويملأ صدره بهذه الوساوس والخواطر الحزينة، قال تعالى: ﴿لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[٣]، فيدخُل في دوامة أحزانٍ لا تنتهي ليُشتت عليه ذهنه فلا يبقى له شيءٌ سوى الدموع والبكاء؛ لذلك المؤمن الكيّس الفطِن: لا يُسلّم نفسه لهذه الوساوس والخواطر بل يُبعد الحزن عن قلبه، ويفتح أبواب التفاؤل والنبي ﷺ كان يعجبه الفأل، وهذه أمرٌ مرتبطٌ بالتوحيد، لأن الذي يرى كل شيء حزينًا وكئيبًا فهذا مؤشر على ضعف التوحيد، لأن التوحيد يشرح الصدر.. ويقوّي العبد.. يقوّي توكله ويقينه ويعلم أن الله تعالى يقول: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾..

الحزن سينتهي.. والألم لن يدوم.. والحياة ستتغير.. فلماذا نّضيّع أعمارنا وأوقاتنا في هذه الأحزان..!!

اطرد هذه الوساوس والأحزان فهي من كيد الشيطان.. واستعِن بالله..و **" من تقوّى بالله قوّاه الله "**..

٥- الحسنات الماحية:

هذه من أكبر قواعد التغيير.. في طريقك إلى التغيير اجعل بين عينيك قول الله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾[٤]..

كلنا مخلّطون.. خلطنا عملًا آخر سيئًا.. وقاعدة النجاة تقول:

مهما زللْنا.. مهما أخطأنا.. مهما تعثرنا.. مهما ابتعدنا.. مهما كررنا التقصير والتفريط.. " لا تنقطعْ عن الله "

---

[١]- صححه الألباني.

[٢]- صححه الألباني.

[٣]- سورة الشورى ١٠.

[٤]- سورة التوبة ١٠٢.

لا تجعل ميزان الحسنات فارغًا.. فالحسنات تُزاحم السيئات.. والطاعات تُزاحم الذنوب والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾، والنبي ﷺ يقول: "وأتبع الحسنة السيئة تمحُها "[1]

كثرة الحسنات وكثرة الدعاء بأن يعصمك الله من الذنوب وأن ينزعها من قلبك..

ستحصل به النجاة.. وتحصل التوبة.. ويحصل التغيير بإذن الله..

ومدار الأمر كله قائم على الصدق؛ فإذا صدقتِ مع الله سيُغيّر الله من حالك..

ونختم محاطتنا بدعاء الرسول ﷺ:

اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها..

اللهم ملّكنا أنفسنا بخير ولا تُسلطها علينا بشرّ..

اللهم ألهمنا رُشْدنا وأعِذْنا من شرور أنفسنا..

[1] - حسّنه الألباني.

اللقاء الثالث

اللقاء الثالث

نقف في هذا اللقاء الأخير مع وقفتين:

الوقفة الأولى: مع مثلين وردا في السورة.

الوقفة الثانية: صفات المؤمنين.

❁ الوقفة الأولى:

الأمثال في كتاب الله لها شأن عظيم.. وأسرار عظيمة.. والله رفع شأن الأمثال في القرآن وأمر بالاستماع لها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ﴾ وزكّى الله من فهم الأمثال وعقِلها بتزكية خاصة فقال: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ وعلى هذا؛ فمن فُتح له في فهم الأمثال فقد فُتح له بابٌ عظيمٌ من أبواب العلم.

يقول الله تعالى في سورة الرعد: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾

هذان مثلان ضربهما الله في سورة الرعد: مثل مائيٌّ ومثل ناريٌّ، وكلا المثلين في الصراع بين الحق والباطل وانتصار الحق على الباطل في نهاية الطريق..

أولا: المثل المائي:

قال تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾

شبه الله الوحي النازل من السماء بالمطر.. يجري هذا الماء في الأودية حتى تمتلئ به، وكل وادٍ يأخذ من الماء بقدر سعته: ﴿فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا﴾ فالوادي الكبير يسع ماءً كثيرًا، والوادي الصغير يسع ماءً قليلًا.. وكذلك القلوب.. مثل الأودية!

فقلبٌ كبيرٌ يسع علمًا كثيرًا.. وقلبٌ صغيرٌ لا يسع إلا القليل من العلم..

هذا الماء النازل من السماء حين يستقر في الوادي يُخرج ما في بطن الوادي من أعواد وأشواك وأوراق وبقايا نفايات ويُظهرها على السطح مثل الرغوة والزبد..

وكذلك الوحي والعلم حين ينزل على قلوب الناس يُحرّك ما في أرض القلب من شبهات وشهوات وشكوك واعتراضات وأحقاد وحسد ونفاق وكره وضغينة فيطردها وينظفها ويطهر القلب حتى يغدو القلب مثل الصفا أبيضًا شفافًا لا تضره فتنة...

و هنا.. يبدأ الصراع بين الحق والباطل..!

تبدأ عملية مواجهة الإنسان مع نفسه.. مع عيوبه.. مع أمراضه.. مع معتقداته التي نشأ عليها وعاداته التي تربى عليها..

وكلما زاد حظ الإنسان من العلم كلما طرد هذه الشوائب عنه وأخرجها وألقاها وصفى قلبه كالسيل الذي يرمي بكل هذه الأوساخ التي كانت مدفونة فيه، كما يقول أهل العلم: **" كما يثير الدواء وقت شربه من البدن أخلاطه فيتكدّر بها شاربه وهي من تمام نفع الدواء فإنه أثارها ليُذهبها لا يجامعها ولا يشاركها"**[1]

---

[1]- أعلام الموقعين ص١٠٦.

ثانيا: المثل الناري:

قال تعالى: ﴿ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۚ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾

تُستخرج المعادن من باطن الأرض إما للزينة مثل الذهب والفضة أو للمتاع مثل الحديد والنحاس والرصاص..

وهذه المعادن حينما تكون في باطن الأرض يخالطها ما يخالطها من شوائب لذلك: لابد أن تدخل في صهاريج نارية.. تُحرِّك النار هذه الشوائب فيستقرُّ المعدن الصافي في الأسفل وتطفو الشوائب على السطح كالزبد الذي طفا على سطح الماء ثم يتلاشى الغثاء والزبد.. كذلك الحق والباطل..!!

مهما انتفش الباطل.. مهما علا صوتُه.. مهما كبُر.. مهما عظُم..

فإنه لا يلبث أن يزول وينتهي ويُظهر الله الحق راسخًا متينًا متمكنًا ينفع الناس والباطل لا قيمة له ولا نفع ولا استمرار..

وهذا دليل على أن الحق هو الذي سيبقى.. وهو الذي سينتصر..

وفي هذا إشارة لكل من أراد أن يُواجه الباطل ويُدافع عن الحق أن يكون قويًّا لأن هذا الدين لا يخدمه ولا يحمله إلا الأقوياء: ﴿ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾[1]..

ونحن الآن في زمن المُدافعة..

هذا يرسل للناس خيرًا.. وهذا يرسل للناس شرًّا.. وكلمات الحق والباطل أصبحت تتدافع إلى السماء.. وشتان ما بين هذا وهذا..!

والمهم أن يكون لنا حظٌّ وسهم ونصيب في زمن المُدافعة.. المهم أن يكون لنا أسماء تصعد في السماء مع هذه الفئة المؤمنة المرابطة التي تدافع عن الحق وتدفع الباطل وهذا من الإعداد الذي أُمرنا به: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾[1]..

---

[1]- سورة مريم الآية ١٢.

۞ الوقفة الثانية: صفات المؤمنين:

بعد أن ضرب الله المثلين بيّن أن الناس على قسمين:

قسمٌ مستجيبٌ لربه..	قسمٌ لم يستجب..
انقادت قلبوهم وجوارحهم للحق والوحي فعاقبتهم: الجنة	وهؤلاء لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد والمقرّ والسكن..

ثم بدأ بذكر صفات المُستجيبين لربهم وما ينتظرهم من الثواب والدار الحسنة..

وقد علّق ابن السعدي بكلام جميل على هذه الصفات:

"حقيق بمن نصح نفسه وكان لها عنده قيمة أن يجاهدها لعلها تأخذ من أوصاف أولي الألباب بنصيب فتحظى بهذه الدار التي هي مُنية النفوس وسرور الأرواح الجامعة لجميع اللذات والأفراح فلمثلها فليعمل العاملون وفيها فليتنافس المتنافسون".

۞ صفاتُ أولي الألباب ثمانية:

الصفة الأولى: الوفاء بالعهود:

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ ﴾

العهد يدخل فيه جميع الأوامر والنواهي، وكل ما ألزم به العبد نفسه من عهد أو نذر بينه وبين الله..

يدخل فيه أيضًا العهود التي تكون بينه وبين الناس من بيع وشراء وشروط تُكتب في عقود الزوجية..

فأول صفة من صفات أولي الألباب: الوفاء بهذه العقود و العهود وعدم نقضها أو الغدر فيها، وقد أمر الله ﷻ بالوفاء بالعهود والعقود: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴾[٣]

---

[١]- سورة الأنفال الآية ٦٠.
[٢]- سورة المائدة الآية ١.
[٣]- سورة الإسراء الآية ٣٤.

ومدح الله وأثنى على الموفين بالعهود قال تعالى: ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [1]

والوفاء صفة من صفات الله: ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ [2]، وصفة من صفات أنبيائه؛ فقد مدح إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ [3]، وفى بكل ما طُلب منه، وفّى بالأوامر والنواهي والتكاليف وبكل صفات العبودية، كذلك نبينا محمد ﷺ وهو سيد الأوفياء وفَّى بعهده مع ربه، وفَّى في عهوده مواثيقه مع أصحابه وزوجاته وشركائه ومن عامله وتعامل معه، بل كان عليه الصلاة والسلام يقول : "حسن العهد من الإيمان" [4] .

فالوفاء من معالي الأمور والله يحب معالي الأمر ويكره سفسافها كما أن الله ﷻ يحبّ من عباده الأوفياء ورتب على هذا الوفاء أجرًا عظيمًا: ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [5]، **ومن وفَّى وفَّى الله له:**

- والدة مريم أم عيسى عليه السلام: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ﴾ [6] نذرت إن رزقها الله بالولد أنها ستهبه وتجعله خادمًا لبيت المقدس، فهي لا تريده لنفعها ولا متعتها ولا أمومتها ولا لخدمتها وإنما نذرته وقفًا لله..! وبالرغم من كون المولود أنثى إلا أنها لفّتها بخروقها وأرسلتها لبيت المقدس ووفّت بعهدها..!!

من أعظم العهد أن يعاهد العبد ربه عهدًا موثّقًا ثم لا يفي بعهد مع ربه..!
احذر من نقضِ العهد... فنقْضُ العهد شديد.. وأشد ما يكون على القلب:

- يقول الله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ﴾ [7] والقسوة عقوبة يضربها الله على القلوب وأبعد الناس عن الله صاحب القلب القاسي..! والله تعالى يقول في الحديث القدسيّ: " ثلاثة أنا

---

[1]- سورة البقرة الآية ١٧٧.
[2]- سورة التوبة الآية ١١١.
[3]- سورة النجم الآية ٣٧.
[4]- رواه البخاري ومسلم.
[5]- سورة الفتح الآية ١٠.
[6]- سورة آل عمران الآية ٣٥.
[7]- سورة المائدة الآية ١٣.

خصمهم..." ومن هؤلاء الثلاثة: " ورجلٌ أعطى بيّ ثم غدر" ومن كان الله خصمه خَصَمَه وقهره وأذله ولا يستطيع أحدٌ أن يُجيره من الله..

- السيدة عائشة رضي الله عنها كانت تحب ابن أختها عبدالله بن الزبير حبًّا شديدًا حتى أنها كانت تُكنّى به..
حصل بينها وبينه خلاف فنذرت أن لا تكلمه.. حاول وأرسل لها من أجل أن تسامحه فرفضت..
أدخلوه عليها بحيلة فرمى نفسه عليها وأخذ يقبِّلها ويطلب منها السماح فسامحته...
مقابل هذا العهد أعتقت ٤٠ رقبة لتكفر عن يمينها..!
وكلما تذكرت يمينها بكت بكاءً حتى يبتلّ خمارها وتقول: نقض العهد شديد... نقض العهد شديد..!
- حكى الله في سورة التوبة قصة ذلك الرجل الذي عاهد ربه لئن أغناه الله من فضله ليصّدّقنّ من ماله وليكوننّ من الصالحين؛ فلما أعطاه الله وتفضل عليه نسيَ العهود والنذور والعقود التي قطعها ونقض عهده مع ربه فكانت النتيجة:

﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ غَرَس النفاق في قلبه والعياذ بالله؛ لذلك قلنا: نقض العهد شديد..

الصفة الثانية: صلة ما أمر الله به أن يوصل:

قال تعالى:﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾

يدخل في هذا جميع أنواع الصلة بالله والصلة بالخلق على تفاوت مراتبهم : صلة الوالدين، صلة الأرحام والأقارب، صلة الفقراء والمساكين، صلة أصحاب الحقوق كالزوجات والأولاد، الصاحب في السفر، الصاحب في العمل والدراسة..

والحقيقة أن موضوع الصلة حين نتكلم فيه فإننا ننكأ جُرحًا عند كثير من الناس..
هم وأقاربهم وأهليهم في هجر وقطيعة.. وحق القرابات عظيم.. وحق الأرحام عظيم لأن الرحم معلقة بالعرش تقول:
" من وصلني وصَلَه الله ومن قطعني قطَعه الله"[1] والإنسان إذا قطعه الله فأي خير وأي بر وأي توفيق وأي رزق يرجو بعد هذا...!!!

[1]- صححه الألباني.

ويكفينا أن نعرف أن هذه القطيعة من كبائر الذنوب.. وأن قاطع الرحم تبقى أعماله معلقة لا تُفتح له أبواب السماء.. وإن نُصب الصراط يوم القيامة فتأتي الأمانة والرحم على جنبتي الصراط فلا يجُوزُ إلا من أدى الأمانة ووصل الرحم..!

وحتى نخرج من دائرة الهجر والقطيعة.. فلْنكن على يقين بعدة ثوابت:

١- إن أحسنوا أو لم يُحسنوا، إن أساءوا وظلموا فنحن نصلهم تعظيمًا وإجلالًا لله تعالى لأنه حق من الحقوق التي أمرنا بها الله ﷻ بغضّ النظر مشاعرنا تجاههم..

٢- من سنن الله في العباد: سنة الابتلاء وهي سنة ماضية، وللابتلاء صور كثيرة منها أن يبتلينا الله بأقارب نُحسن لهم فيسيئون، نصلهم فيقطعون.. نحن نتعامل مع قطيعتهم وهجرهم على أنه صورة من صور الابتلاء بالخلق: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾[١] وحتى ننجح في هذا الابتلاء نحتاج إلى الصبر، والله لا يعطي الصبر إلا لعبد كريم عنده ويكفينا ما قاله الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٢]..

اشتكى رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأُحسن إليهم ويسيئون إليّ، وأحلُم عنهم ويجهلون علي، فقال ﷺ: "لئن كنت كما قلت فكأنما تُسفّهم الملّ، ولا يزال معك من الله ظهيرٌ عليهم ما دمت على ذلك"[٣]، أي: كأنك تُطعمهم الرماد الحار لما يلحقهم من الإثم ولا شيء عليك..

عامل الله بالإحسان إليهم.. عامل الله بالصبر على هذه الطاعة.. عامل الله بالصبر على الابتلاء..

فإن فعلت ظفرت بمعية الله لأن الله مع الصابرين و**كل من عامل الله ربح..**

وإذا استمر الإنسان على الإحسان والصلة سيجد من الله لُطفًا حيثما توجه.. وسيكون مرحومًا لأن: ﴿رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٤]

---

[١]- سورة الفرقان الآية ٢٠.
[٢]- سورة الزمر الآية ١٠.
[٣]- رواه مسلم.
[٤]- سورة الأعراف الآية ٥٦.

الصفة الثالثة والرابعة: الخشية والخوف:

قال تعالى: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾،

- الخشية والخوف كلاهما من الأعمال القلبية.. وأعمال القلوب أعظم في الميزان من أعمال الجوارح، قال ﷺ: "ليس شيء أحب إلى الله من قطرتين وأثرين، قطرةِ دموعٍ من خشية الله، وقطرةِ دمٍ تُهراقُ في سبيل الله "[١].
- من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله منهم: "ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه"[٢].
- وصف الله ﷻ الأنبياء والصالحين بهذا البكاء وهذه الخشية: ﴿خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾[٣].
- الخوف والخشية من عبادات السر، والله ﷻ إذا أراد أن يرحم عبده أكرمه بهذه العبادات.. أكرمه بهذا الخفاء.. وبهذه الأعمال القلبية.. وكل من أراد أن يعرف مقامه عند الله فلينظر إلى هذه العبادات، فإن كان له حظ ونصيب فليعلم أنه على خير، وأمره إلى خير، ورب لحظة خوف واحدة.. لحظة انكسار تقع في قلب العبد.. لحظة افتقار.. يرتفع بها الإنسان عند الله رفعة لا يسقط بعدها أبدًا..
- كل من خاف وخشِي واقشعرّ جلده وفاضت عيناه ورق قلبه فهو:

أ/ موعودٌ بقرب الله منه، والله يقرُبُ من عباده حسب قرب قلوبِ عباده منه.

ب/ موعودٌ بأن تتحاتّ عنه ذنوبه وتتساقط مثلما تتساقط الأوراق اليابسة عن الشجر.

ج/ موعودٌ بحبِّ الله له؛ فالله تبارك وتعالى يحب أصحاب القلوب المنكسرة المنيبة.

جاء رجل إلى حذيفة بن اليمان ﵁.. جاءه متعبًا.. جاءه خائفًا.. جاءه مُشفقًا.. جاءه راجيًا.. اجتمعت كلها في قلبه...!

فقال: يا حذيفة هل أنا من المنافقين...؟

فرد عليه حذيفة ﵁ وقال: أتُصلِّي إذا خلوت وتستغفر إذا أذنبت؟ قال: نعم، فقال حذيفة: اذهب فما جعلك الله منافقًا.

---

[١]- حسنه الألباني.
[٢]- رواه البخاري.
[٣]- سورة مريم الآية ٥٨.

لأن الميزان.. والعبرة.. والصدق.. والمحكّ: **أَنتَ مَنْ أَنتَ إِذَا خَلَوْت**...؟!

هذه العبارة.. تختصر كلّ المسافات.. و كلّ الإجابات.. و كلّ الحيرة.. وكل الأسئلة..

إذا وجدت إجابة لهذا السؤال ستعرف في أي طريق أنت سائر..!

الصفة الخامسة: الصبر:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾

- الصبر هو: حبس النفس على ما تكره..
- الصبر هو: حق الله عندنا، والعبادة نصفان: نصفٌ صبر، ونصفٌ شكر، والعابد من صبر وشكر..

الدنيا تحتاج إلى صبر، والآخرة تحتاج إلى صبر، لذلك ذُكر الصبر في القرآن أكثر من تسعين مرة... و ليس لنا إلا أن نعامل ربنا بهذا الصبر، سواء في:

أ/ **صبرنا على أقدار الله**: فالمؤمن يعيش مع البلاء كيفما مشى به ..كلما أداره استدار معه..

ب/ **صبرنا عن معاصي الله**: وهذه بالذات يصِل بها العبد إلى أن يكون من الصفوة.. من المُخلَصين.. ممن يميزهم الله بطبيهم..! كلما مرت عليه الفتنة وتزينت أمامه.. كلما دنا منه الشيطان ونفث.. أغلق الباب فورًا.. وصبر أمامها وتصبّر وكرهها ومقتها..

وكلما أغلق على نفسه باب فتنة.. فتح الله له أبواب وأبواب من الرحمات..

كلما أعرض عن هذه المحارم والآثام.. إلا وأبدله الله بطعوم من الإيمان يتلذذ بها إلى يوم القيامة..

وما زالت هذه الفتن وهذه المِحن تزيد وتتكاثر عليه وهو يرفض ويقاوم ويترك حتى يُصفّى ويُنقّى و**يصبح من الصَّفوة...!**

يصبح من عباد الله المُخلَصِين الذين أَخْلَصَهم الله لنفسه.. وقد قال أهل العلم:

[كثرة الإخلاص والمدافعة توصل العبد إلى أن يكون من المخلَصِين...]

ج/ **الصبر على الطاعات**: إذا مضى العبد في سوق الآخرة هان عليه كل شيء، لأن الجنة محفوفة بالمكاره كما أخبر بذلك النبي ﷺ، فإذا أقبل العبد على طاعة ووجد شيئًا من الهم والغم والضيق والثقل والمنغصات والمُكدرات والمكاره كلما وجد فيها من الرفعة وعلو الدرجات والرحمات كما قال **أهل العلم**: **أعظم الناس أجرًا في الطاعات من عظمت همُومُهُم قبلها.**

والله لم يكلفنا بشيء فوق طاقتنا.. فاصبر واعلم أنك تُعامل الله..

فمن أتعب نفسه لله فإن الله يريحه.. ومن بذل نفسه لله يقدّمه ولا يضيعه..

الصفة السادسة والسابعة: إقامة الصلاة والإنفاق:

سنؤجل الحديث عنها في السلسلة القادمة بإذن الله؛ سلسلة [قد أفلح المؤمنون]..

الصفة الثامنة:درء السيئة بالحسنة:

قال تعالى: ﴿وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾..

هذه والله اختبار كبير.. كم رسبنا فيها رسوبًا يجعلنا نسحيِي من ربنا.. نستحيِي من أنفسنا..!

وكل من أراد أن يدرأ السيئة بالحسنة فإنه يحتاج إلى:

أن يكظم غيظه ولا يتابع غضبه.

أن لا يتعود أن يدافع عن نفسه في كل صغيرة وكبيرة، فلا يقف ولا يعاتب ولا يدقق.

وهذا أمرٌ لا يقدر عليه ولا يستطيعه إلا قلةٌ من الناس..

الغيظ هو أشد الغضب.. والغضب جمرة من الشيطان.. ومن تابع غضبه فإنه لا يسلم منه بل قد يصل لمرحلة لا يتحكم فيها بنفسه.. وقد كان من وصية الرسول ﷺ: "لا تغضب، لا تغضب، لا تغضب."[1]

وليس فينا من لا يغضب لأنه في فطرة الإنسان، لكنّ المقصود: لا تُتابع غضبك.. اعرف كيف تكظمه.. وتخطمه وتكفكفه:

- كان لعبد الله بن الزبير مزرعة في مكة.. وبجوارها مزرعة لمعاوية رضي الله عنهم وقد كان معاوية هو أمير المؤمنين وقتها..

بعض عمال معاوية رضي الله عنه دخلوا مزرعة ابن الزبير وفعلوا فيها ما فعلوا..

غضب بن الزبير وكتب رسالة إلى معاوية: [إلى معاوية بن أبي سفيان، اعلم أن عمالك قد فعلوا وفعلوا في مزرعتي، فإما أن تكفّهم عن ذلك؛ وإلا سيكون بيني وبينك شأن]..

قرأ معاوية رضي الله عنه الرسالة.. نادى ابنه يزيد وقال: " ما ترى "..؟!

قال: يا أمير المؤمنين أرى أن تُرسل له جيشًا.. أوله عندك.. وآخره عنده..!!

فقال معاوية رضي الله عنه: " ولكني أرى غير ذلك.. وكتب ردّه.. فقال:

[إلى ابن حواريّ رسول الله ﷺ.. السلام عليك ورحمة الله وبركاته.. إذا جاءك كتابي هذا فضُمَّ مزرعتي إلى مزرعتك وعُمَّالي إلى عُمّالك.. وإن احتجتَ شيئًا فاكتب لي..]...!!

فلما قرأ ابن الزبير كلام معاوية.. كتب رسالة: [إلى أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان؛ بمثل هذا سُدتُّم الناس]..!!

بكل هدوء.. بكل عقل.. بكل سماحة.. بكل صبر.. بكل حكمة حلّ الموضوع وأنهى المشكلة..

عندها نادى معاوية ابنه يزيد وقال: " انظر في رد ابن الزبير... بمثل هذا تُحلّ الأمور"

هو الآن يربيه.. يعلّمه الحلم وكظم الغيظ وأن لا يتابع غضبه..

إنهم يدورون حول الإسلام.. لا يدورون حول أنفسهم..

المشكلة لدينا أننا لا نتذكر الأحاديث والأجور والأخلاق إلا بعد أن نتكلم ونثرثر.. يا ليت عبارة معاوية ﷺ تُنقش وتُحفر في أذهاننا وقلوبنا.. وانظري نصيحة أبي الدرداء لزوجته: [إذا غضبتُ فرضِّني.. وإذا غضبتِ رضَّيتُك]

لأنه إذا التقى الغضبان كل واحد سيدافع عن نفسه.. ستكبر المشكلة.. ويخرج ما كان مدفونًا في الصدور.. فيؤلم ويجرح وربما يصبح جرحًا لا يلتئم.. يقولون:

---

[1]- رواه البخاري.

الغضب في أوله جنون.. وفي آخره ندم.. لذلك كظم الغيظ ليس أمرًا سهلًا...

لذلك كظم الغيظ من صفات المؤمنين.. والجنة لها ٨ أبواب،، ومن أبوابها: بابٌ للكاظمين الغيظ والعافين عن الناس.. والمقصود من تكرر وتكرر وتكرر منه الكظم والعفو، قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: " آه للتقوى ما تركت لصاحب غيظٍ من شفاء "..!

وكما قيل: المؤمن إذا أراد أن يتكلم نظر.. فإن كلامه له تكلّم.. وإن كان عليه أمسك عنه..

وأما الفاجر لسانُه رسْلًا رسْلًا..

هذه الصفات الثمانية هي نتيجة الإيمان الذي لا يدعيه صاحبه ادعاءً..

إنما هو إيمان حقيقي.. يتمثله الإنسان في حياته.. في سلوكه.. في تعاملاته..

إيمان يُثمر التقوى.. ويُثمر الصبر.. ويُثمر الأخلاق.. ويُثمر الإحسان والإتقان.. ليكون الجزاء الذي ينتظر هؤلاء المؤمنين:

﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٍ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾

<u>ختاما...</u>

أسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بما تعلمنا،، وأن يجعل ما تعلمناه حجة لنا لا علينا..

وأن يجعلنا ووالدينا وذرارينا من أهل هذه الدار وأن يعيننا على أنفسنا وأن يختم لنا بخير...

اللهم في ختام سورتنا اجعلنا ممن ظن بك الخير فأعطيته وأكرمته وزدته من فضلك...

اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك اللهم اجعلنا من عبادك المخلصين...

والحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات....

تأملات
في سورة الرعد

برنامج التدبر - الملزمة الخامسة عشر

جمع و إعداد :
نـجلاء السبيِّل

للإستفسار: ٠٥٤٠٧٠٢٠٠١/٠١٢٢٦١٩٥٦٤

تأملات
في سورة الرعد

برنامج التدبر - الملزمة الخامسة عشر

جمع وإعداد:
نجلاء السبيّل

بين يدي السورة...

هذه السورة كما يقول أهل التدبر؛ سورة تعلمنا اليقين، **<u>فما هو اليقين؟</u>**

- اليقين عبادة قلبية عظيمة يحبها الله ﷻ، وقد قال الله تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ ﴾[١].

- اليقين بابٌ يفتحه الله على قلب من يشاء من عباده، و كرامة يكرم بها من يشاء من عباده فيذوق به حلاوة الإيمان.

- هو أعلى درجات الإيمان؛ بل هو الإيمان كله عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "**الصبر شطر الإيمان واليقين الإيمان كله**"[٢].

- ولا يتم كمال التوحيد وتحقيقه إلا باليقين: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ ﴾[٣]، صاحبُ اليقين قد تُطبق عليه الدنيا كلها.. قد يحاصره المرض في كل ذرّة من ذرّات جسده.. قد تحاصره الديون وتخنقه.. قد تحاصره الأمراض والأسحار والمس والعين وتُغلق الأبواب في وجهه.. وقد يتكالب عليه الأذى والتسلط ومع ذلك...
يقينه بالله ﷻ ثابتٌ لا يتزعزع ولا بمقدار ذرّة..
راسخٌ في يقينه بالله.. لن أخيب.. لن أُخذل.. ولن أُهزم.. ما دام أن الله معي..
صاحب اليقين قلبُه في السماء؛ لذلك يقولون: ما سكن اليقين في قلب عبدٍ إلا فتح الله له أبواب السعادة وصُبّت السعادة في قلبه صبًّا..

وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: "من قال أشهد أن لا إله إلا الله موقنا بها قلبه دخل الجنة"[٤]، وفي رواية "حرم على النار من شهد أن لا إله إلا الله موقنا بها قلبه".

---

[١]- سورة الانعام الآية ٧٥
[٢]- رواه البخاري معلقًا.
[٣]- سورة الحجرات الآية ١٥.
[٤]- رواه الإمام أحمد في مسنده بسند ثلاثي صحيح.

وقال عليه الصلاة والسلام: "أحب الأعمال إلى الله ﷻ إيمان لا ريب فيه أو لا شك فيه"[١]؛ بل ثبت عنه ﷺأنه ما كان يختم مجلسه إلا ويدعو بهذه الدعوات يسأل ربه اليقين "اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا"[٢].

إذن: نحن أمام عمل قلبيّ عظيم جدًا، لابد أن نلتفت له ونتفقده في قلوبنا لنرى: **يا ترى كم بلغ اليقين في قلوبنا..!**

❁ هناك ثلاث صور لليقين:

الصورة الأولى:

الثقة التامة المطلقة بالله، الطمأنينة بالله التي لا تتقلب ولا تتحول ولا تتغير في القلب:

- في حادثة الإسراء والمعراج، أخبر النبي ﷺ قريشًا في الصباح أنه قد أُسري به ليلًا إلى بيت المقدس، وعُرج به الى السماء حتى وصل إلى سدرة المنتهى ورجع في نفس الليلة وفراشه ما زال دافئًا..!!
قريش جُنّ جنونها وذهبوا يبحثون عن أبي بكر ﷺ ليقولوا له: انظر ماذا يزعم صاحبك..!
فكان رده عليهم: "إن كان قاله فقد صدق"[٣]..
يقينٌ تام مُطلق بكلام رسول الله ﷺ المُرسل من ربه ﷻ.

- أنس بن النضر لما أراد الخروج في معركة أحد للغزو، جعل الناس يقولون له: يا أنس إن الله قد عذرك الله - فقد كان أعرجًا - فكان يردّ عليهم: "والله لأطأنَّ بعرجتي هذه الجنة"؛ وبالفعل استُشهد أنس والنبي ﷺ قال: "رأيته في الجنة وما به من عرج"[٤].

- خالد بن الوليد ﷺ بعدما أسلم استمرت معه محاولات المشركين: إن كنت على حق، ونبيك على حق، ودينك على حق فعرضوا عليه أن يشرب السم..! فشربه يقينًا بالله فحفظه الله ولم يحصل له شيء[١].

---

[١]- رواه الإمام أحمد في مسنده.
[٢]- رواه الترمذي، وقال حديث حسن.
[٣]- أعمال القلوب للدكتور سفر الحوالي بتصرف.
[٤]- أعمال القلوب للدكتور سفر الحوالي بتصرف.

الصورة الثانية:

اليقين بالنصوص في كل ما أخبرت به الشريعة: أنه حق وصدق، وأنه الخير والصواب الذي لا يقبل التغيير ولا التكذيب ولا الشكّ ولا التردد؛ أي: نرضى بالشريعة كما نزلت،

وكما قال أهل العلم: **"لا تثبت قدم إسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام".**

وهذا يعني أنه لن نكون مؤمنين إيمانًا حقيقيًّا كاملًا إلا إذا رضينا بالشريعة كما نزلت؛ لأننا على يقين بكمال وصدق وتمام هذا الدين وأنه نزل من عند رب العالمين الذي خلق الخلق وهو أعلم بما ينفعهم ويناسبهم فشرعه لهم، فحينما يرِد نصٌّ في كتاب الله أو في سنة رسول الله ﷺ كقوله تعالى:

* ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡ﴾[2]

* ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾[3]

* ﴿لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾[4]

* ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾[5]

فالقضية محسومةٌ مفروغٌ منها، لا تقبلُ النقاش؛ بل نقبلها بدون أي حرج ولا اعتراض ولا منازعة ولامجادلة: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا﴾، رفضنا لأي حكم من أحكام الشريعة قد يوصل الإنسان إلى ناقض من نواقض الإيمان، ومن أراد أن يُختم له بالتوحيد، ويُختم له بـ: "لا إله إلا الله" لابد أن يعيش على هذه الكلمة راضيًا بها، مُحبًا لها ولأحكامها، موقنًا بها، قابلًا لكل ماجاءت به مسلّمًا مُنقادًا دون أي حرج.

---

[1]- أعمال القلوب بتصرف.
[2]- سورة البقرة الآية ١٢٠.
[3]- سورة النساء الآية ٣٤.
[4]- سورة النساء الآية ١١.
[5]- سورة النساء الآية ٣.

الصورة الثالثة:

الإيمان بالغيبيات في كل ما أخبر الله تعالى عنه من أمور الغيب كالجنة، والنار، والموت، والبعث، والجزاء، والصراط، والميزان، رؤية وجه الله ﷻ، أشراط الساعة، يأجوج ومأجوج، خروج الدجال، خروج الشمس من مغربها.... كل هذه الغيبيات التي يجب أن نتيقن بها يقينًا تامًّا لا يقبل الشك.

۞ لماذا سميت سورة الرعد بهذا الاسم؟

سميت بسورة الرعد لورود ذكر الرعد فيها، ولم يُذكر الرعد إلا فيها وفي سورة البقرة.

- والرّعد صوتٌ معروف مخيف مفزع، يأخذ القلوب برعدة شديدة؛ لذلك كان من هديه ﷺ إذا سمع صوت الرعد يقول: "سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته" ثم يقول: " هذا الوعيد لأهل الأرض شديد"[١].

وأغلب المفسرين على أن الرعد هو ملك من الملائكة يسوق السحاب فيحدث هذا الصوت؛ واستندوا لحديث ورد في سنن الترمذي: أن اليهود أقبلت على إلى النبي ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم أخبرنا عن الرعد؟ فقال: "ملك من الملائكة موكل بالسحاب، معه مخاريق من نار، يسوق بها السحاب حيث يشاء الله"، قالوا: وما هذا الصوت الذي نسمعه؟ قال "زجره بالسحاب إذا زجره حتى ينتهي حيث ما أمر"[٢].

إذن: من اسم السورة؛ نحن أمام سورة قوية لها علاقة بالتخويف والتعظيم والجبروت والقدرة، ، ولا يظهر هذا من اسمها فقط؛ بل لو تأملنا آيات هذه السورة لوجدناها تعرض حقائق وشواهد وحجج وبراهين كونية كثيرة جدًا، كلها تدل على قوة الله وقدرته، تدل على علم الله وعظمته:

- آياتٌ في السماء: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَا﴾:

  شاهدوا... انظروا... تفكروا... اعقلوا... أما ترون أمامكم:

  سموات مرفوعة.. السماء الأولى محيطة بجميع مجراتها..

---

[١]- جاء في موطأ الإمام مالك باب القول إذا سمعت الرعد.

[٢]- صححه الألباني من جامع الترمذي.

ثم السماء الثانية محيطة بالأولى..

ثم الثالثة بالثانية وهكذا حتى السماء السابعة بعضها فوق بعض كقطعة واحدة..!

وكل هذه السموات رُفعت بغير عمد تحملها..!!

المسافة بين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة عام.. وكُثف كل سماء مسيرة خمسمائة عام.. وفوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه مسيرة خمسمائة عام..

وفوقه العرش... والله فوق ذلك ﷻ لا يخفى عليه من أعمال بني آدم شيء..! هذا كله من ملكوت الله ﻷ.

- آياتٌ في الأرض، آياتٌ في الشجر، آياتٌ في النبات: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾

الأراضي متجاورة.. التربة واحدة.. الطين واحد.. والماء واحد، ولكنه يخرج من هذه الأرض زرعٌ مختلفٌ ألوانه: بساتين موز.. بساتين تفاح.. بساتين مشمش.. بساتين برتقال.. بساتين منجا.. هذا حامض.. هذا حلو.. هذا له بذرة واحدة.. وهذا له بذور كثيرة.. من أرض واحدة .. وتربة واحدة.. وماء واحد...!!

أفلا تعقلون..!

- آياتٌ في الأنفس وآياتٌ في الخلق: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾

يعلم الله ﷻ ما تحمله كل أنثى: أنثى الطيور، أنثى الزواحف، أنثى الحشرات، أنثى الآدمية...

ويعلم ماذا يحصل في الأرحام لكل الإناث..!

يعلم مَن الجنين الذي سيُكمل مدة الحمل ويُولد، ومن الجنين الذي لن يُكمل وسيسقط..!

يعلم مدة حياة كل مخلوق.. كم سيبقى.. ومتى سيموت..

يعلم كل شيء سبحانه وتعالى وكل شيء عنده بمقدار لا يزيد ولا ينقص...!

- آياتٌ في خفايا النفس ومايدور فيها: ﴿سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ﴾

يعلم ما تُخفونه وما تُعلنون..

كل ما يدور في بواطنكم ودواخلكم يستوي في علمه..

من يستتر بظلمة الليل عن أعين الناس ومن هو ظاهر في وضح النهار..

كل ذلك يعلمه ولا يخفى عليه شيء من أمركم سبحانه ﷻ.

منظرٌ بديعٌ تصفه لنا آياتُ سورة الرعد:

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ١٢ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ﴾..

تأمَّل كيف تداخلت مناظر الطبيعة مع مشاعر الإنسان..!!

يريكم الله البرق.. ويسمعكم الرعد.. ويجمع في نفوسكم بين الخوف والطمع في نفس اللحظة..!

الخوف من هذه الصواعق والبرق والرعد، والطمع في المطر..! الجمعُ بين متناقضين..!!

الماء جعله الله سببًا للحياة وأنزله بقدرته من السحاب..

والسحاب جمع الله فيه بين (الرحمة) و (العذاب) فهو يحمل المطر ويحمل الصواعق؛ والصواعق فيها إماتة وإهلاك..!

وكم من أقوام عُذبوا وأُهلكوا بالصواعق والأعاصير والرياح والأمطار المدمرة..!

نقيضين في نفس المخلوق... وهذا من عجيب عظمة قدرة الله ﷻ..!

يا تُرى كل هذا الكم الهائل.. والشواهد الكونية التي وردت في سورة الرعد..!

وهذه العجائب.. وهذه الهيمنة المحكمة على هذا الكون والخلق.. والتفاصيل الدقيقة فيه..!

وهذا التخويف بالصواعق والرياح والبرق والرعد..! **لماذا..؟**

يأتي الجوابُ في قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ﴾..

حتى تمتلئ قلوبكم باليقين ويستقر هذا اليقين ويرسخ فيها...

اليقين بماذا..؟؟

١- اليقين بأن هذا الكون كله مدبَّرٌ مسيَّرٌ محكومٌ بنظام فلا يمكن أن يحصل فيه شيءٌ إلا بإرادة الله تعالى وعلمه وإذنه ومشيئته.

٢- الليقين بأنك أيها الإنسان... ما أنت إلا نقطة في هذا الكون الفسيح، والدنيا سائرةٌ بك وبغيرك؛ فلا يدخل في قلبك شك ولو بمقدار ذرة بأن الله الذي خلق ودبر هذا الكون بهذه القدرة، وهذا التفصيل، وهذه الدقة، وهذا التقدير والإحكام؛ سيعجز عن تدبير أمرك وأمرُك أهون عليه من أمر الكون كلّه.

٣- التسليم المطلق بالقضاء القدر:

أ/ اليقينُ بأن كل ما أجراه الله عليك مكتوبٌ سلفًا، وأمرٌ قد فُرغ منه؛ لذلك: قَلقك، حزنك، اعتراضك، اكتئابك، بكاؤك، عزلتك وتحسرك لن يُغيّر شيئًا مما كُتب.

ب/ اليقين بالملِك: تتيقن بأن ربك الذي خلقك هو الذي يملكك، ومُلْك الله مُطلق له حق التصرف فينا كيفما شاء فليس لك أن تستدرك على ربك شيئًا أو تعترض.

٤- اليقين بالحِكمة: مع ملكه لك سبحانه وبحمده فهو حكيم، لا يجري علينا الأقدار عبثًا دون تقدير أو حكمة؛ فما من حركة أو سكون إلا وله فيه حكمة فهو الحكيم الخبير، وانظر كيف أنَّ اسم الله " الحكيم " تكرر في القران أكثر من تسعين مرة ، واسم الله " الخبير " تكرر في القرآن أكثر من أربعين مرة..!

كل هذا حتى نتيقن ونسلّم بأن الله تعالى له الحكمة البالغة فيما قدَّر وقضى:

إذا أمرض؛ أمرض لحكمة..

إذا أفقر؛ أفقر لحكمة..

إذا أضلّ؛ أضلّ لحكمة..

إذا أعطى.. أو منع.. أو قدّم.. أو أخّر.. كل شيء له حكمة.. وهذا أمر يحتاج إلى التسليم بأن الله كامل الصفات وإن كان هذا القدر اختياره فأحبّ ما يحبُّه الله لنا وليس أمامنا إلا الرضا، لأنَّ الله لا يقدّر على العباد أمرًا إلا وفيه مصلحتهم، ولا يقدِّر على العباد إلا ما فيه رحمة بهم، ولا يقدِّر على العباد إلا ما فيه لطفٌ بهم حتى لو لم يشعروا بهذا اللطف منه تبارك وتعالى يبقى هناك لطفٌ خفيٌّ لذلك قيل:

كن صاحبَ يقين يقوِّيك الله.. ويثبتك..

كن صاحب رضًا مع الأقدار يرضِّيك الله.. وكلما رضيت قلّب الله لك الأحوال..

كم سيرتفع توحيدك بهذا التسليم...!!

سيجعلك هذا تعيش التوحيد في كل تفاصيل حياتك: في مرضك.. في صحتك.. في عافيتك.. في دموعك.. في حزنك.. في كل شيء.. ونحن على ثقة تامة أنه من كانت صفقتك مع الله فلن يخسر أبدًا، ولو فهمنا معنى التسليم لعرفنا وتيقنا أنه:

من سلَّمَ رقبته إلى الله تكفل الله به...

٥- اليقين بأنه ما فاتك شيء من أمور الدنيا أو فقدته أو خسرته إلا سيعوضك الله خيرًا منه في الدنيا و الآخرة..

يقول أهل العلم: **"المعاملة تدور مع الظنّ"**

عامل الله بهذا اليقين.. بهذا الظن الحسن.. وسيعاملك بما ظننته فيه، كان ابن مسعود ﷺ يُقسم : (**والله ما ظن عبد بالله ظنًّا إلا وأعطاه الله بما ظن فيه**).

أيضًا: كن على يقين أن الله إذا ابتلاك وألهمك الصبر فإنه أراد بك الخير..

كل هذا يبثُّ الطمأنينة.. ويبثُّ السكينة.. ويبثُّ الثبات في قلوبك وروحك فتستقرّ وتهدأ وتسكُن؛ لذلك قلنا:

صاحب اليقين قلبه في السماء..

وما فتح الله على عبدٍ باب اليقين إلا كان أسعد الناس

فتيقنوا بربكم يا أهل اليقين.. تيقنوا بربكم يا أهل التوحيد..

واحذروا التخذيل والإحباط واليأس وسوء الظن والقنوط، فهذا كله من كيد الشيطان..

ضعوا أمام أعينكم ثلاث نصوص حتى يزيد اليقين في قلوبكم:

١- ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾[١].

٢- ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[٢].

٣- **قوله ﷺ: "عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير"**[٣]

أسال الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يزيدنا يقينًا وإيمانًا وثقة به..

اللهم زدنا صدقًا معك وإقبالًا عليك، واملأ قلوبنا باليقين، واجعلنا ممن يحقق التوحيد ويلقاك بكمال التوحيد..

[١]- سورة الشورى الآية ١٩.
[٢]- سورة البقرة الآية ٢١٦
[٣]- رواه مسلم.

اللقاء الثاني

اللقاء الثاني

- ذكرنا في الآيات السابقة أن السورة عرضت كثيرًا من الشواهد الكونية والآيات والعجائب في هذا الكون الفسيح، وعرضت أيضًا الكثير من المتناقضات: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾، ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾، ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾، ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾، ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾، ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾، ﴿نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾، ﴿ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾، ﴿ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ﴾، ﴿ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾، ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾...

والعجب أنه بعد هذا العرض كله.. والخلق كله.. وهذا المُلك.. وهذه القدرة والقوة: لم يصلوا إلى اليقين...!!!

﴿۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ما زالوا ينكرون قدرة الله على البعث؛ بل وما زالوا يستعجلون بالعذاب كأنهم غير مصدقين بالرغم من أنهم سمعوا عن مصارع الأقوام السابقة، لكنهم ما زالوا في دائرة التكذيب: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ﴾..

- تعرض لنا هذه السورة أيضًا سنة من أهم السنن الربانية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾..

إنها سنة التغيير، وتبدّل الأحوال.. وكأن هذه السنة تقول لك بمنتهى الوُضوح:

(لن يتغيّر حالك إلا إذا غيرت من نفسك)...

<u>سنعرضُ هذه السنة الربانية من ناحيتين:</u>

* من الناحية التفسيرية.

* من ناحية تدبرية نخرج منها بفوائد في تغيير ذواتنا.

أولا: الناحية التفسيرية:

من تمام عدل الله تعالى وكمال قسطه أنه لا يغير ولا يزيل النعم ولا يسلبها ولا يبدل الأحوال إلا بسبب من العباد أنفسهم.. بسبب ما ارتكبوه من ذنوب ومعاصي.. بسبب ما وقع في قلوبهم من مخالفات وآفات وعلل..

فالله ﷻ لا يبتدئ عباده بالعذاب والضر والسلْب والنقمة، وقد أخبر رسول الله ﷺ: " أن الله أوحى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل أن قل لقومك أنه ليس من أهل بيتٍ أو أهل قرية يكونون على طاعة فيتحولون إلى معصية الله إلا حوّل الله عنهم ما يحبون إلى ما يكرهون"[1]:

- قوم سبأ كانوا يعيشون في رغد وخصب وأمطار وأرزاق ووفرة الجنات، والبساتين عن أيمانهم وعن شمائلهم..

بل من كثرة ثمارهم ومحاصيلهم كانت الثمار تتساقط عليهم من الأشجار دون كلفة وتعب وعناء..
كانوا في نعمة كبيرة لكنهم: أعرضوا عن الله.. أعرضوا عن عبادته.. تبطروا.. جحدوا.. ..ملّوا النعمة وسئموا منها..!
فسلبها الله منهم.. وأرسل على جناتهم وبساتينهم سيلًا جارفًا أنهى كل شيء.. جرفه.. ودمّره.. وأبدلهم بأشجار ثمارها قليلة.. مُرّة.. كلها أشواك.. لا أوراق فيها ولا أزهار: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ﴾ ...

ما كان الله ليُكرمك بنعمة ثم يسلبك إياها إلا بسبب منك أنت.. كما قال أهل العلم: **"داؤك منك وعلتك منك"..**

بدّلت فبدّل الله لك.. وغيّرت فغيّر الله عليك.، وقد قال ابن القيم رحمه الله: **"وليس على العبد أضرُّ من مَـلَـلِه من نعم الله عليه"**، والملل من نعم الله مرض من أمراض القلوب..

حتى النعم الدينية تزول وتتبدل بالمعاصي... فمن كان له مع الله حال من: قيام ليل.. أو خشوع.. أو بكاء.. أو كثرة قراءة للقرآن.. أو حب العلم ومجالس العلم.. كلُّ هذه هبات ومنح وأرزاق شريفة.. ما كان الله ليعطيك إياها وتذوق طعمها وأنسها وقربها ثم يسلبها وينزعها منك إلا بسبب منك أنت...!!

لذلك المؤمن يظلّ خائفًا على ما آتاه الله من العلم والفهم والبصيرة..

يظل خائفًا أن ينسلخ من هذا الخير الذي أعطاه الله له..

---

[1]- رواه ابن أبي شيبة في مصنفه.

يظل خائفًا أن يكون كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثًا؛ لذلك الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتواصون فيما بينهم:

- دخل أبو مسعود على حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما جميعًا في ساعة الاحتضار فقال: يا حذيفة أوصني، فقال حذيفة: إياك والتلون فإن دين الله واحد..!

ومعنى هذا: اثبت ولا تغير وجهك مع الله، لا تتلون ولا تتقلب، قال تعالى: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾[1]..

وقد جاء رجل إلى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا غيرك؟ فقال عليه الصلاة والسلام: "قل آمنت بالله ثم استقم"[2]، وهذه الاستقامة فسَّرها عمر رضي الله عنه فقال: **(استقم على الأمر ولا ترُغْ روغان الثعالب)** أي: لا تكن مراوغًا ولا مُبدلًا ولا مُغيرًا، بل استقم على أمر الله، استقم على الأوامر والنواهي، استقم على هذه الشريعة وهذا الدين..

- أحد التابعين عُوتب على كثرة إنفاقه فقد كان لا يُبقي مالًا يأتيه، فلما أكثروا عليه قال لهم: إن الله عودني أن يفضُلَ عليّ وعودته أن أفضل على عباده فأخاف أن أقطع عادتي عن عباده فيقطع الله عادته عني..!

كانوا يخافون إذا فتح الله لهم بابًا من الخير أن يُغلقوه على أنفسهم فيُغيّر الله عليهم.. وهذا يدل على حسّ إيماني مرتفع وأرواح عامرة بالإيمان، وأرواح صادقة في تعاملها مع الله..

ثانيًا: الوقفة التدبرية:

وقفةٌ نتربّى فيها بتربية القرآن.. ننهض بأنفسنا.. نُزيل العيوب ونستدرك التقصير..

وهذا أمرٌ يحبه الله فقد أخبر الرسول ﷺ: " إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفسافها"[3]

والله ﷻ أقسم في سورة الشمس أحدَ عشر قسمًا متتالية على: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ فالفلاح كل الفلاح لمن زكى نفسه وهذبها واستصلحها ونهض بها..

---

[1]- سورة هود الآية ١١٢.
[2]- رواه مسلم.
[3]- صححه الألباني.

وحتى نُغيِّر من حالنا.. ونهض بأنفسنا سنضعُ بين يديك محطاتٌ تعينك على التغيير:

١- __عليك البداية وعليه التمام:__

جلس رسول الله ﷺ في حلقة مع أصحابه فدخل عليه ثلاثة من النفر: فأما الأول وجد فُرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الثاني فاستحيا فجلس خلف الحلقة، وأما الثالث أعرض ومشى، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: "أوَ أخبركم بخبر الثلاثة نفر..؟ أما الأول: فآوى إلى الله فآواه الله، وأما الثاني فاستحيا من الله فاستحيا الله منه، وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه"[١]..

هذا الحديث يعطي تصورًا واضحًا أنّ: **البداية تكون منك أنت..**

ابدأ هذه الخطوة إلى الله، والله يبارك ويتمم لك..

لا تُعرض فإن أعرضت سيعرض الله عنك؛ يقول ابن القيم رحمه الله: **"وأيّما جهة أعرض الله عنها أظلمت أرجاؤها ودارت بها النحوس"**.

يقول أهل العلم: (**أنت مُبتلى بأن تبدأ ومُمتحنٌ بأن تصْدُقْ؛ فإذا بدأت كما يُحبّ أتمّ لك ما تُحبّ**)[٢]

ابدأ وتحرك.. فمن يتحرّ الخير يُعطه..

ومن سعى للخير وُفق له.. من سعى إلى الهداية وُفق لها.. من سعى إلى التوبة وُفق لها.. من سعى إلى التغيير وُفق له..

لا تكن كسولًا ولا عاجزًا ولا باردًا ولا فاترًا ولا تعِشْ في دائرة الفراغ؛ فالفراغُ يدمّرك.. ويدمّر إيمانك..

كن صادق العزيمة.. صادق الرغبة.. اصدق مع الله يصدقك: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾[٣]

وقد قال أهل العلم: **إذا تحركت الهمم جاء الله بالفتح..**

---

[١]- متفق عليه.
[٢]- أصول الوصول ص٧٥.
[٣]- سورة محمد ٢١.

٢- القرآن يصنعُك:

يقول الله تعالى في سورة الرعد: ﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾

والمعنى: لو أنّ هناك كلام يتلى ويؤثّر على الجبال فتتحرك من أماكنها أو تتصدع وتتشقق الأرض أو يسمعه الموتى فيَحْيَون؛ لكان هذا القرآن من قوة تأثيره..!!

فإذا كان هذا القرآن يؤثر على الجبال فيتغير حالها؛ فنحن أضعف من الجبال والصخور.. فلماذا لا يؤثّر فينا..؟ ولماذا لا تنغيّر..؟؟

تأمل حياة الصحابة رضوان الله عليهم: ما الذي نقل حياتهم من أناس عاديين إلى جيل فريد متميز لا يمكن أن يأتي مثله..؟ ما الذي غيّرهم..؟ ما الذي بدّلهم..؟

إنه القرآن.. والقرآن فقط..!!

تتنزل آياته على قلوبهم.. تُهذبهم.. تُطهرهم.. تُنقيهم.. تصقلهم وتصنعهم فيرجعون بقلوب غير التي جاؤوا بها!

إذن... القرآن طريقك إلى التغيير..

القرآن يربيك.. القرآن ينفعك.. القرآن يصنعك..

اجعل القرآن معك وكن أنت مع القرآن.. لترى أثره وبركته عليك واعلم أن أي شيءٍ يقطعك عن القرآن فهو شؤمٌ عليك فاتركه وعدْ إلى القرآن....

٣- فرِّغْ قلبَك :

وهذا من أهم محاور التغيير..

يقول ابن القيم رحمه الله: **"الوصول إلى المطلوب مَوْقُوف على هجر العوائد وقطْع العلائق" ومعنى هذا:** أنّ الواقف مع العادات والتعلقات والشهوات إنما هو في الحقيقة شخص محبوسٌ محجوبٌ عن الله بقدر تعلقه ووقوفه مع هذه العوائد والعلائق، ولن يستطيع التغيّر إلا إذا حرّر نفسه منها ومن أسْرِها:

* من اعتاد أن لا يصلي الفجر إلا بعد خروج وقتها..

* من اعتاد أن يمُرّ يومه وأسبوعه وشهره دون أن يقرأ آية من القرآن..

* من اعتاد أن يُصبح ويُمسي وهو مشغول بمتابعة التلفاز والتنقل بين القنوات الفضائية والأخبار الرياضية..

* من شغلَ قلبه بكثرة التعلقات حتى أصبح مُشتتًا مُفرقًا بين الناس والدنيا والأموال والأسواق..

كل هؤلاء وغيرهم ممن وقعوا في أسر العادات والتعلقات إذا أرادوا التغيير.. وأرادوا العبودية.. وأرادوا الصفاء والنقاء والسكينة.. فليس لهم إلا طريقًا واحدًا...

أن يُفرّغوا قلوبهم...!

فمن صفّى صُفّيَ له، ومن كَدّر كُدِّر عليه..

ومن تجاوز الحد في التعلق بالمحبوب سلطهُ الله عليه وأصابه ما أصابه من الهم والغم والشقاء والتعاسة والنكد.. ومن المعلوم أن القلوب تصِحُ وتمرض بأعمال أصحابها.. أنت المسؤول عن قلبك، وكما قيل: **من رأس العين يأتي الكدر...!**

أي: أن الكدر خارجٌ منك.. من داخلك.. من أعماقك بكثرة هذه المُزاحمات والتعلقات والعادات التي عكرتَ بها ماء قلبك.. إذا عرفتَ كيف تُصفِّي قلبك، وتُحدِثُ مُوازنة في حياتك بأن تُعطي كل ذي حقٍ حقّه بدون مبالغة ولا تفريط، عندها ستنجح في تغيير نفسك.. بل سيحصل تغيير كبير في حياتك..

٤- كن حاديًا:

قال ابن رجب رحمه الله: "النفس كالدابة فمتى فتُرَ قائدها وقصّر سائقها وقفت فتحتاج إلى الرفق بها والحدو لها حتى يطيب لها السير"[١].

الحِداء صوتٌ حنون تفهمه الإبل فإذا سمعته بعد توقفها وتعبها من السير، حركها ونشّطها لتواصل سيرها مرة أخرى..

والمعنى: أننا نحن أيضًا في طريق سفر.. كلنا مسافرون إلى الله..

في هذا الطريق نُصاب بالفتور والضعف والتراخي والكسل.. النجد نشاطًا لعبادة ولا طاعة ولا علم.. عندها تحتاج أنفسنا أن نكون لها كالحادي مع دابته.. تحتاج أنفسنا أن نُسايسها برفق.. أن نحنو عليها.. نترفق بها قليلًا قليلًا حتى تعود.. فلْنحذر أن نُدخل أنفسنا في حرب نفسية مع الشيطان ومن ثَمَّ يستولي عليها بتخذيله وتحبيطه وتحزينه..

ومن أهمّ ما نُعالج به هذا الفتور:

١/ أن لا نحصر أنفسنا في عملٍ واحد وعبادة واحدة؛ فمن رحمة الله بنا أن فتح لعباده أنواع العبادة حتى يأخذوا بما يستطيعون.

---

[١]- كتاب المحجة في سير الدُلجة.

٢/ أن نُعلّي ونُظّمونرفع الرجاء في قلوبنا بأن الله رحيم بعباده.. ورحمته تسعُ العباد.. وأنه يقبل منهم القليل ويعطيهم عليه الكثير... وأن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ، وأنه كما قال رسول الله ﷺ: "ما فتح الرجل باب عطية بصدقة أو صلة إلا زاده الله تعالى بها كثرة"[١] ، هذا العمل القليل يفتح لنا أبواب الخير الكثير بإذن الله.

"ما فتح الرجل باب عطية بصدقة أو صلة إلا زاده الله تعالى بها كثرة"[٢] ، هذا الحديث يفتح أبواب الأمل، ويفتح أبواب الخير كلها والحسنة تنادي أختها؛ والنفس من طبعها الشرود فتستعصي على صاحبها؛ ولأجل ألا تستعصي يجب أن يقودها صاحبها برفق حتى تُواصل سيرها.

٥- إياك والحزن:

لن ينجح في التغيير شخصٌ استولى عليه الحزن، ومن وظائف الشيطان أن يُحزِن المؤمن ويجعله مهمومًا ويملأ صدره بهذه الوساوس والخواطر الحزينة، قال تعالى: ﴿لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [٣]، فيدخُل في دوامة أحزانٍ لا تنتهي ليُشتت عليه ذهنه فلا يبقى له شيءٌ سوى الدموع والبكاء؛ لذلك المؤمن الكيّس الفطِن: لا يُسلّم نفسه لهذه الوساوس والخواطر بل يُبعد الحزن عن قلبه، ويفتح أبواب التفاؤل والنبي ﷺ كان يعجبه الفأل، وهذه أمرٌ مرتبطٌ بالتوحيد، لأن الذي يرى كل شيء حزينًا وكئيبًا فهذا مؤشر على ضعف التوحيد، لأن التوحيد يشرح الصدر.. ويقوّي العبد.. يقوّي توكله ويقينه ويعلم أن الله تعالى يقول: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾..

الحزن سينتهي.. والألم لن يدوم.. والحياة ستتغير.. فلماذا نّضيّع أعمارنا وأوقاتنا في هذه الأحزان..!!

اطرد هذه الوساوس والأحزان فهي من كيد الشيطان.. واستعِن بالله..و **" من تقوّى بالله قوّاه الله "**..

٥- الحسنات الماحية:

هذه من أكبر قواعد التغيير.. في طريقك إلى التغيير اجعل بين عينيك قول الله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [٤] ..

كلنا مخلِّطون.. خلطنا عملًا آخر سيئًا.. وقاعدة النجاة تقول:

مهما زلْلنا.. مهما أخطأنا.. مهما تعثرنا.. مهما ابتعدنا.. مهما كررنا التقصير والتفريط.. " لا تنقطعْ عن الله "

---

[١]- صححه الألباني.
[٢]- صححه الألباني.
[٣]- سورة الشورى ١٠.
[٤]- سورة التوبة ١٠٢.

لا تجعل ميزان الحسنات فارغًا.. فالحسنات تُزاحم السيئات.. والطاعات تُزاحم الذنوب والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾، والنبي ﷺ يقول: "وأتبع الحسنة السيئة تمحُها "[1]

كثرة الحسنات وكثرة الدعاء بأن يعصمك الله من الذنوب وأن ينزعها من قلبك..

ستحصل به النجاة.. وتحصل التوبة.. ويحصل التغيير بإذن الله..

ومدار الأمر كله قائم على الصدق؛ فإذا صدقتِ مع الله سيُغيّر الله من حالك..

ونختم محاطتنا بدعاء الرسول ﷺ:

اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها..

اللهم ملّكنا أنفسنا بخير ولا تُسلطها علينا بشرّ..

اللهم ألهمنا رُشْدنا وأعِذْنا من شرور أنفسنا..

---

[1]- حسّنه الألباني.

اللقاء الثالث

اللقاء الثالث

نقف في هذا اللقاء الأخير مع وقفتين:

الوقفة الأولى: مع مثلين وردا في السورة.

الوقفة الثانية: صفات المؤمنين.

❁ الوقفة الأولى:

الأمثال في كتاب الله لها شأن عظيم.. وأسرار عظيمة.. والله رفع شأن الأمثال في القرآن وأمر بالاستماع لها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ وزكّى الله من فهم الأمثال وعقِلها بتزكية خاصة فقال: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ وعلى هذا؛ فمن فُتح له في فهم الأمثال فقد فُتح له بابٌ عظيمٌ من أبواب العلم.

يقول الله تعالى في سورة الرعد: ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۚ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾

هذان مثلان ضربهما الله في سورة الرعد: مثل مائيٌّ ومثل ناريٌّ، وكلا المثلين في الصراع بين الحق والباطل وانتصار الحق على الباطل في نهاية الطريق..

أولا: المثل المائي:

قال تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾

شبه الله الوحي النازل من السماء بالمطر.. يجري هذا الماء في الأودية حتى تمتلئ به، وكل وادٍ يأخذ من الماء بقدر سعته: ﴿فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا﴾ فالوادي الكبير يسع ماءً كثيرًا، والوادي الصغير يسع ماءً قليلًا.. وكذلك القلوب.. مثل الأودية!

فقلبٌ كبيرٌ يسع علمًا كثيرًا.. وقلبٌ صغيرٌ لا يسع إلا القليل من العلم..

هذا الماء النازل من السماء حين يستقر في الوادي يُخرج ما في بطن الوادي من أعواد وأشواك وأوراق وبقايا نفايات ويُظهرها على السطح مثل الرغوة والزبد..

وكذلك الوحي والعلم حين ينزل على قلوب الناس يُحرّك ما في أرض القلب من شبهات وشهوات وشكوك واعتراضات وأحقاد وحسد ونفاق وكره وضغينة فيطردها وينظفها ويطهر القلب حتى يغدو القلب مثل الصفا أبيضًا شفافًا لا تضره فتنة...

و هنا.. يبدأ الصراع بين الحق والباطل..!

تبدأ عملية مواجهة الإنسان مع نفسه.. مع عيوبه.. مع أمراضه.. مع معتقداته التي نشأ عليها وعاداته التي تربى عليها..

وكلما زاد حظ الإنسان من العلم كلما طرد هذه الشوائب عنه وأخرجها وألقاها وصفى قلبه كالسيل الذي يرمي بكل هذه الأوساخ التي كانت مدفونة فيه، كما يقول أهل العلم: **" كما يثير الدواء وقت شربه من البدن أخلاطه فيتكدّر بها شاربه وهي من تمام نفع الدواء فإنه أثارها ليُذهبها لا يجامعها ولا يشاركها"**[1]

---

[1] - أعلام الموقعين ص١٠٦.

ثانيا: المثل الناري:

قال تعالى: ﴿ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۚ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾

تُستخرج المعادن من باطن الأرض إما للزينة مثل الذهب والفضة أو للمتاع مثل الحديد والنحاس والرصاص..

وهذه المعادن حينما تكون في باطن الأرض يخالطها ما يخالطها من شوائب لذلك: لابد أن تدخل في صهاريج نارية.. تُحرِّك النار هذه الشوائب فيستقرُّ المعدن الصافي في الأسفل وتطفو الشوائب على السطح كالزبد الذي طفا على سطح الماء ثم يتلاشى الغثاء والزبد.. كذلك الحق والباطل..!!

مهما انتفش الباطل.. مهما علا صوتُه.. مهما كبُر.. مهما عظُم..

فإنه لا يلبث أن يزول وينتهي ويُظهر الله الحق راسخًا متينًا متمكنًا ينفع الناس والباطل لا قيمة له ولا نفع ولا استمرار..

وهذا دليل على أن الحق هو الذي سيبقى.. وهو الذي سينتصر..

وفي هذا إشارة لكل من أراد أن يُواجه الباطل ويُدافع عن الحق أن يكون قويًّا لأن هذا الدين لا يخدمه ولا يحمله إلا الأقوياء: ﴿ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾[1]..

ونحن الآن في زمن المُدافعة..

هذا يرسل للناس خيرًا.. وهذا يرسل للناس شرًّا.. وكلمات الحق والباطل أصبحت تتدافع إلى السماء.. وشتان ما بين هذا وهذا..!

والمهم أن يكون لنا حظٌّ وسهم ونصيب في زمن المُدافعة.. المهم أن يكون لنا أسماء تصعد في السماء مع هذه الفئة المؤمنة المرابطة التي تدافع عن الحق وتدفع الباطل وهذا من الإعداد الذي أُمرنا به: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾[1]..

---

[1]- سورة مريم الآية ١٢.

۞ الوقفة الثانية: صفات المؤمنين:

بعد أن ضرب الله المثلين بيّن أن الناس على قسمين:

قسمٌ مستجيبٌ لربه..	قسمٌ لم يستجب..
انقادت قلبوهم وجوارحهم للحق والوحي فعاقبتهم: الجنة	وهؤلاء لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد والمقرّ والسكن..

ثم بدأ بذكر صفات المُستجيبين لربهم وما ينتظرهم من الثواب والدار الحسنة..

وقد علّق ابن السعدي بكلام جميل على هذه الصفات:

"حقيق بمن نصح نفسه وكان لها عنده قيمة أن يجاهدها لعلها تأخذ من أوصاف أولي الألباب بنصيب فتحظى بهذه الدار التي هي مُنية النفوس وسرور الأرواح الجامعة لجميع اللذات والأفراح فلمثلها فليعمل العاملون وفيها فليتنافس المتنافسون".

۞ صفاتُ أولي الألباب ثمانية:

الصفة الأولى: الوفاء بالعهود:

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ ﴾

العهد يدخل فيه جميع الأوامر والنواهي، وكل ما ألزم به العبد نفسه من عهد أو نذر بينه وبين الله..

يدخل فيه أيضًا العهود التي تكون بينه وبين الناس من بيع وشراء وشروط تُكتب في عقود الزوجية..

فأول صفة من صفات أولي الألباب: الوفاء بهذه العقود و العهود وعدم نقضها أو الغدر فيها، وقد أمر الله ﷻ بالوفاء بالعهود والعقود: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ ﴾ [2]، وقال تعالى: ﴿ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴾ [3]

---

[1]- سورة الأنفال الآية ٦٠.
[2]- سورة المائدة الآية ١.
[3]- سورة الإسراء الآية ٣٤.

ومدح الله وأثنى على الموفين بالعهود قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [1]

والوفاء صفة من صفات الله: ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ﴾ [2]، وصفة من صفات أنبيائه؛ فقد مدح إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴾ [3]، وفى بكل ما طُلب منه، وفّى بالأوامر والنواهي والتكاليف وبكل صفات العبودية، كذلك نبينا محمد ﷺ وهو سيد الأوفياء وفَّى بعهده مع ربه، وفَّى في عهوده مواثيقه مع أصحابه وزوجاته وشركائه ومن عامله وتعامل معه، بل كان عليه الصلاة والسلام يقول : "حسن العهد من الإيمان"[4] .

فالوفاء من معالي الأمور والله يحب معالي الأمر ويكره سفسافها كما أن الله ﷻ يحبّ من عباده الأوفياء ورتب على هذا الوفاء أجرًا عظيمًا: ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[5]، **ومن وفَّى وفَّى الله له:**

- والدة مريم أم عيسى عليه السلام: ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ﴾[6] نذرت إن رزقها الله بالولد أنها ستهبه وتجعله خادمًا لبيت المقدس، فهي لا تريده لنفعها ولا متعتها ولا أمومتها ولا لخدمتها وإنما نذرته وقفًا لله..! وبالرغم من كون المولود أنثى إلا أنها لفّتها بخروقها وأرسلتها لبيت المقدس ووفّت بعهدها..!!

من أعظم العهد أن يعاهد العبد ربه عهدًا موثّقًا ثم لا يفي بعهد مع ربه..!
احذر من نقضِ العهد... فنقْضُ العهد شديد.. وأشد ما يكون على القلب:

- يقول الله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ [7] والقسوة عقوبة يضربها الله على القلوب وأبعد الناس عن الله صاحب القلب القاسي..! والله تعالى يقول في الحديث القدسيّ: " ثلاثة أنا

---

[1]- سورة البقرة الآية ١٧٧.
[2]- سورة التوبة الآية ١١١.
[3]- سورة النجم الآية ٣٧.
[4]- رواه البخاري ومسلم.
[5]- سورة الفتح الآية ١٠.
[6]- سورة آل عمران الآية ٣٥.
[7]- سورة المائدة الآية ١٣.

خصمهم..." ومن هؤلاء الثلاثة: " ورجلٌ أعطى بيّ ثم غدر" ومن كان الله خصمه خَصَمَه وقهره وأذله ولا يستطيع أحدٌ أن يُجيره من الله..

- السيدة عائشة رضي الله عنها كانت تحب ابن أختها عبدالله بن الزبير حبًّا شديدًا حتى أنها كانت تُكنّى به..
حصل بينها وبينه خلاف فنذرت أن لا تكلمه.. حاول وأرسل لها من أجل أن تسامحه فرفضت..
أدخلوه عليها بحيلة فرمى نفسه عليها وأخذ يقبِّلها ويطلب منها السماح فسامحته...
مقابل هذا العهد أعتقت ٤٠ رقبة لتكفر عن يمينها..!
وكلما تذكرت يمينها بكت بكاءً حتى يبتلّ خمارها وتقول: نقض العهد شديد... نقض العهد شديد..!
- حكى الله في سورة التوبة قصة ذلك الرجل الذي عاهد ربه لئن أغناه الله من فضله ليصّدّقنّ من ماله وليكوننّ من الصالحين؛ فلما أعطاه الله وتفضل عليه نسيَ العهود والنذور والعقود التي قطعها ونقض عهده مع ربه فكانت النتيجة:

﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ غَرَس النفاق في قلبه والعياذ بالله؛ لذلك قلنا: نقض العهد شديد..

الصفة الثانية: صلة ما أمر الله به أن يوصل:

قال تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾

يدخل في هذا جميع أنواع الصلة بالله والصلة بالخلق على تفاوت مراتبهم : صلة الوالدين، صلة الأرحام والأقارب، صلة الفقراء والمساكين، صلة أصحاب الحقوق كالزوجات والأولاد، الصاحب في السفر، الصاحب في العمل والدراسة..

والحقيقة أن موضوع الصلة حين نتكلم فيه فإننا ننكأ جُرحًا عند كثير من الناس..

هم وأقاربهم وأهليهم في هجر وقطيعة.. وحق القرابات عظيم.. وحق الأرحام عظيم لأن الرحم معلقة بالعرش تقول:

" من وصلني وصَلَه الله ومن قطعني قطَعه الله"[١] والإنسان إذا قطعه الله فأي خير وأي بر وأي توفيق وأي رزق يرجو بعد هذا...!!!

[١]- صححه الألباني.

ويكفينا أن نعرف أن هذه القطيعة من كبائر الذنوب.. وأن قاطع الرحم تبقى أعماله معلقة لا تُفتح له أبواب السماء.. وإن نُصب الصراط يوم القيامة فتأتي الأمانة والرحم على جنبتي الصراط فلا يجُوزُ إلا من أدى الأمانة ووصل الرحم..!

وحتى نخرج من دائرة الهجر والقطيعة.. فلْنكن على يقين بعدة ثوابت:

١- إن أحسنوا أو لم يُحسنوا، إن أساءوا وظلموا فنحن نصلهم تعظيمًا وإجلالًا لله تعالى لأنه حق من الحقوق التي أمرنا بها الله ﷻ بغضّ النظر مشاعرنا تجاههم..

٢- من سنن الله في العباد: سنة الابتلاء وهي سنة ماضية، وللابتلاء صور كثيرة منها أن يبتلينا الله بأقارب نُحسن لهم فيسيئون، نصلهم فيقطعون.. نحن نتعامل مع قطيعتهم وهجرهم على أنه صورة من صور الابتلاء بالخلق: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾[1] وحتى ننجح في هذا الابتلاء نحتاج إلى الصبر، والله لا يعطي الصبر إلا لعبد كريم عنده ويكفينا ما قاله الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[2]..

اشتكى رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأُحسن إليهم ويسيئون إليّ، وأحلُم عنهم ويجهلون علي، فقال ﷺ: "لئن كنت كما قلت فكأنما تُسفّهم الملّ، ولا يزال معك من الله ظهيرٌ عليهم ما دمت على ذلك"[3]، أي: كأنك تُطعمهم الرماد الحار لما يلحقهم من الإثم ولا شيء عليك..

عامل الله بالإحسان إليهم.. عامل الله بالصبر على هذه الطاعة.. عامل الله بالصبر على الابتلاء..

فإن فعلت ظفرت بمعية الله لأن الله مع الصابرين و**كل من عامل الله ربح..**

وإذا استمر الإنسان على الإحسان والصلة سيجد من الله لُطفًا حيثما توجه.. وسيكون مرحومًا لأن: ﴿رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[4]

---

[1]- سورة الفرقان الآية ٢٠.
[2]- سورة الزمر الآية ١٠.
[3]- رواه مسلم.
[4]- سورة الأعراف الآية ٥٦.

الصفة الثالثة والرابعة: الخشية والخوف:

قال تعالى: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾،

- الخشية والخوف كلاهما من الأعمال القلبية.. وأعمال القلوب أعظم في الميزان من أعمال الجوارح، قال ﷺ: "ليس شيء أحب إلى الله من قطرتين وأثرين، قطرةِ دموعٍ من خشية الله، وقطرةِ دمٍ تُهراقُ في سبيل الله "[1].
- من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله منهم: "ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه"[2].
- وصف الله ﷻ الأنبياء والصالحين بهذا البكاء وهذه الخشية: ﴿خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾[3].
- الخوف والخشية من عبادات السر، والله ﷻ إذا أراد أن يرحم عبده أكرمه بهذه العبادات.. أكرمه بهذا الخفاء.. وبهذه الأعمال القلبية.. وكل من أراد أن يعرف مقامه عند الله فلينظر إلى هذه العبادات، فإن كان له حظ ونصيب فليعلم أنه على خير، وأمره إلى خير، ورب لحظة خوف واحدة.. لحظة انكسار تقع في قلب العبد.. لحظة افتقار.. يرتفع بها الإنسان عند الله رفعة لا يسقط بعدها أبدًا..
- كل من خاف وخشِي واقشعرّ جلده وفاضت عيناه ورق قلبه فهو:

أ/ موعودٌ بقرب الله منه، والله يقرُبُ من عباده حسب قرب قلوبِ عباده منه.

ب/ موعودٌ بأن تتحاتّ عنه ذنوبه وتتساقط مثلما تتساقط الأوراق اليابسة عن الشجر.

ج/ موعودٌ بحبِّ الله له؛ فالله تبارك وتعالى يحب أصحاب القلوب المنكسرة المنيبة.

جاء رجل إلى حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.. جاءه متعبًا.. جاءه خائفًا.. جاءه مُشفقًا.. جاءه راجيًا.. اجتمعت كلها في قلبه...!

فقال: يا حذيفة هل أنا من المنافقين...؟

فرد عليه حذيفة رضي الله عنه وقال: أتُصلِّي إذا خلوت وتستغفر إذا أذنبت؟ قال: نعم، فقال حذيفة: اذهب فما جعلك الله منافقًا.

---

[1]- حسنه الألباني.

[2]- رواه البخاري.

[3]- سورة مريم الآية ٥٨.

لأن الميزان.. والعبرة.. والصدق.. والمحكّ: **أَنتَ مَنْ أَنتَ إِذَا خَلَوْت**...؟!

هذه العبارة.. تختصر كلّ المسافات.. و كلّ الإجابات.. و كلّ الحيرة.. وكل الأسئلة..

إذا وجدت إجابة لهذا السؤال ستعرف في أي طريق أنت سائر..!

الصفة الخامسة: الصبر:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾

- الصبر هو: حبس النفس على ما تكره..
- الصبر هو: حق الله عندنا، والعبادة نصفان: نصفٌ صبر، ونصفٌ شكر، والعابد من صبر وشكر..

الدنيا تحتاج إلى صبر، والآخرة تحتاج إلى صبر، لذلك ذُكر الصبر في القرآن أكثر من تسعين مرة... و ليس لنا إلا أن نعامل ربنا بهذا الصبر، سواء في:

أ/ **صبرنا على أقدار الله**: فالمؤمن يعيش مع البلاء كيفما مشى به ..كلما أداره استدار معه..

ب/ **صبرنا عن معاصي الله**: وهذه بالذات يصِل بها العبد إلى أن يكون من الصفوة.. من المُخلَصين.. ممن يميزهم الله بطبيهم..! كلما مرت عليه الفتنة وتزينت أمامه.. كلما دنا منه الشيطان ونفث.. أغلق الباب فورًا.. وصبر أمامها وتصبّر وكرهها ومقتها..

وكلما أغلق على نفسه باب فتنة.. فتح الله له أبواب وأبواب من الرحمات..

كلما أعرض عن هذه المحارم والآثام.. إلا وأبدله الله بطعوم من الإيمان يتلذذ بها إلى يوم القيامة..

وما زالت هذه الفتن وهذه المِحن تزيد وتتكاثر عليه وهو يرفض ويقاوم ويترك حتى يُصفّى ويُنقّى و**يصبح من الصَّفوة...!**

يصبح من عباد الله المُخلَصِين الذين أَخْلَصَهم الله لنفسه.. وقد قال أهل العلم:

[كثرة الإخلاص والمدافعة توصل العبد إلى أن يكون من المخلَصِين...]

ج/ **الصبر على الطاعات**: إذا مضى العبد في سوق الآخرة هان عليه كل شيء، لأن الجنة محفوفة بالمكاره كما أخبر بذلك النبي ﷺ، فإذا أقبل العبد على طاعة ووجد شيئًا من الهم والغم والضيق والثقل والمنغصات والمُكدرات والمكاره كلما وجد فيها من الرفعة وعلو الدرجات والرحمات كما قال **أهل العلم**: **أعظم الناس أجرًا في الطاعات من عظمت همُومُهُم قبلها.**

والله لم يكلفنا بشيء فوق طاقتنا.. فاصبر واعلم أنك تُعامل الله..

فمن أتعب نفسه لله فإن الله يريحه.. ومن بذل نفسه لله يقدّمه ولا يضيعه..

الصفة السادسة والسابعة: إقامة الصلاة والإنفاق:

سنؤجل الحديث عنها في السلسلة القادمة بإذن الله؛ سلسلة [قد أفلح المؤمنون]..

الصفة الثامنة:درء السيئة بالحسنة:

قال تعالى: ﴿وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾..

هذه والله اختبار كبير.. كم رسبنا فيها رسوبًا يجعلنا نسحيِي من ربنا.. نستحيِي من أنفسنا..!

وكل من أراد أن يدرأ السيئة بالحسنة فإنه يحتاج إلى:

- **أن يكظم غيظه ولا يتابع غضبه.**
- **أن لا يتعود أن يدافع عن نفسه في كل صغيرة وكبيرة، فلا يقف ولا يعاتب ولا يدقق.**

وهذا أمرٌ لا يقدر عليه ولا يستطيعه إلا قلةٌ من الناس..

الغيظ هو أشد الغضب.. والغضب جمرة من الشيطان.. ومن تابع غضبه فإنه لا يسلم منه بل قد يصل لمرحلة لا يتحكم فيها بنفسه.. وقد كان من وصية الرسول ﷺ: "لا تغضب، لا تغضب، لا تغضب."[١]

وليس فينا من لا يغضب لأنه في فطرة الإنسان، لكنّ المقصود: لا تُتابع غضبك.. اعرف كيف تكظمه.. وتخطمه وتكفكفه:

- كان لعبد الله بن الزبير مزرعة في مكة.. وبجوارها مزرعة لمعاوية رضي الله عنهم وقد كان معاوية هو أمير المؤمنين وقتها..

بعض عمال معاوية رضي الله عنه دخلوا مزرعة ابن الزبير وفعلوا فيها ما فعلوا..

غضب بن الزبير وكتب رسالة إلى معاوية: [إلى معاوية بن أبي سفيان، اعلم أن عمالك قد فعلوا وفعلوا في مزرعتي، فإما أن تكفّهم عن ذلك؛ وإلا سيكون بيني وبينك شأن]..

قرأ معاوية رضي الله عنه الرسالة.. نادى ابنه يزيد وقال: " ما ترى "..؟!

قال: يا أمير المؤمنين أرى أن تُرسل له جيشًا.. أوله عندك.. وآخره عنده..!!

فقال معاوية رضي الله عنه: " ولكني أرى غير ذلك.. وكتب ردّه.. فقال:

[إلى ابن حواريّ رسول الله ﷺ.. السلام عليك ورحمة الله وبركاته.. إذا جاءك كتابي هذا فضُمَّ مزرعتي إلى مزرعتك وعُمَّالي إلى عُمّالك.. وإن احتجتَ شيئًا فاكتب لي..]...!!

فلما قرأ ابن الزبير كلام معاوية.. كتب رسالة: [إلى أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان؛ بمثل هذا سُدتُّم الناس]..!!

بكل هدوء.. بكل عقل.. بكل سماحة.. بكل صبر.. بكل حكمة حلّ الموضوع وأنهى المشكلة..

عندها نادى معاوية ابنه يزيد وقال: " انظر في رد ابن الزبير... بمثل هذا تُحلّ الأمور"

هو الآن يربيه.. يعلّمه الحلم وكظم الغيظ وأن لا يتابع غضبه..

إنهم يدورون حول الإسلام.. لا يدورون حول أنفسهم..

المشكلة لدينا أننا لا نتذكر الأحاديث والأجور والأخلاق إلا بعد أن نتكلم ونثرثر.. يا ليت عبارة معاوية ﷺ تُنقش وتُحفر في أذهاننا وقلوبنا.. وانظري نصيحة أبي الدرداء لزوجته: [إذا غضبتُ فرضِّني.. وإذا غضبتِ رضَّيتُك]

لأنه إذا التقى الغضبان كل واحد سيدافع عن نفسه.. ستكبر المشكلة.. ويخرج ما كان مدفونًا في الصدور.. فيؤلم ويجرح وربما يصبح جرحًا لا يلتئم.. يقولون:

---

[١]- رواه البخاري.

الغضب في أوله جنون.. وفي آخره ندم.. لذلك كظم الغيظ ليس أمرًا سهلًا...

لذلك كظم الغيظ من صفات المؤمنين.. والجنة لها ٨ أبواب،، ومن أبوابها: بابٌ للكاظمين الغيظ والعافين عن الناس.. والمقصود من تكرر وتكرر وتكرر منه الكظم والعفو، قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: " آه للتقوى ما تركت لصاحب غيظٍ من شفاء "..!

وكما قيل: المؤمن إذا أراد أن يتكلم نظر.. فإن كلامه له تكلّم.. وإن كان عليه أمسك عنه..

وأما الفاجر لسانُه رسْلًا رسْلًا..

هذه الصفات الثمانية هي نتيجة الإيمان الذي لا يدعيه صاحبه ادعاءً..

إنما هو إيمان حقيقي.. يتمثله الإنسان في حياته.. في سلوكه.. في تعاملاته..

إيمان يُثمر التقوى.. ويُثمر الصبر.. ويُثمر الأخلاق.. ويُثمر الإحسان والإتقان.. ليكون الجزاء الذي ينتظر هؤلاء المؤمنين:

﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾

<u>ختاما...</u>

أسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بما تعلمنا،، وأن يجعل ما تعلمناه حجة لنا لا علينا..

وأن يجعلنا ووالدينا وذرارينا من أهل هذه الدار وأن يعيننا على أنفسنا وأن يختم لنا بخير...

اللهم في ختام سورتنا اجعلنا ممن ظن بك الخير فأعطيته وأكرمته وزدته من فضلك...

اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك اللهم اجعلنا من عبادك المخلصين...

والحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات....